
أجاثا كريستي
الساحرة

الساحرة

تأليف : أجاثا كريستي
ترجمة : محمد عبد المنعم

الأميرة الروسية

عاد ماركوس هاردمان يقول للمرة العشرين :ارجوك ان تبعد عن كل دعاية على الخصوص .

كان مستر هاردمان رجلا قصيرا مكتنز الجسم يعنى بيديه الى درجة كبيرة ويتكلم بصوت ناعم اشبه بصوت مبحوح . وكان رجلا معروفا فى الأوساط الاجتماعية التى يكرس لهـــا كل وقته ؛ ينفق كل دخله فى اقامة الحفــلات واقتناء مجموعات من الدانتللات والمراوح والمجوهرات القديمة . . .وكلها مجموعات مختارة بعيدة عن الابتذال .

ذهبت أنا وبوارو لزيارته بناء على دعوة ملحة منه والفيناه فى حالة قصوى من الانفعال والهياج . وأخبرنا أنه لم يستطيع أن يقرر الالتجاء الى البوليس ؛ ولكن نظرا للظروف ؛ فان عدم التصرف معناه أنه يقبل ضياع درر مجموعته ولذا فقد استقرت نيته أخيرا على أن يلجأ الى بوارو .

ــ بلاتينى يا مستر بوارو .. وعقد الزمرد الذى لا أشك فى انه كان ملكا لكاترين دى ميدسيس .. اوه ! ... انه عقد فريد ... يا للخسارة الفادحة ..

قاطع بوارو تأوهاته بأن سأله فى هدوء : هل لك

أن تذكر لى الظروف التى اختفت فيها هذه المجموعة يا مستر هاردمان ؟

— آه ... أقمت حفلة شاى بعد ظهر امس ... حفلة غير رسمية ، دعوت اليها ستة من الأصدقاء . وقد سبق أن اقمت مثل هذه الحفلة اكثر من مرة خلال هذا الموسم ، واقول ولا غرو أنها كانت حفلات ناجحة جدا . وقد دعوت أمس ناكورا ؛ عازف البيان المشهور وكاترين بيرد المطربة الاسترالية ؛ وقدما لنا عرضا رائعا فى الاستديو الكبير . وفى بداية الحفلة عرضت على ضيوفى مجموعة جواهرى التى يرجع عهدها الى العصور الوسطى والتى احتفظ بها فى خزانة داخل الجدار ، وهى الخزانة التى تراها هناك . وقد كسوتها من الداخل بالقطيفة لكى اضع بها الأحجار الثمينة . وبعد ذلك شاهد الضيوف مجموعة المراوح الموجودة فى هذه الفترينة التى تراها لصق الجدار المقابل . ثم ذهبنا بعد ذلك الى الاستديو لسماع الموسيقى . ولم الحظ السرقة الا بعد رحيل المدعوين . ولا ريب أننى أغفلت التأكد مما اذا كنت قد أحكمت اغلاق الخزانة وانتهز بعضهم فرصة اهمالى وسرق ما بها . انها مجموعة فريدة نادرة يا مستر بوارو وانى لاتنازل عن الكثير فى سبيل استردادها . ولكن تذكر ... لا اريد اية دعاية ... أرجو أن تفهم يا مسـيو بوارو ان الأمر يتعلق بضيوفى وهم من أصدقائى الحميمين ، وقد ينتهى الأمر الى فضيحة .

— هل لاحظت من كان آخر من غادر هذه الغرفة عندما ذهبتم معا الى الاستديو ؟

— انه مستر جونستون ، المليونير المعروف فى جنوب أفريقيا ... لعلك تعرفه ؟ انه استأجر حديثا بيت

ابوتبورى فى بارك ليف واتذكر انه تأخر بضع دقائق خلفنا . ولكن لا يمكن أن يكون هو السارق ... لا يمكن ابدا ...

— هل عاد شخص آخر الى هذه الغرفة خلال فترة بعد الظهر بأية حجة ؟

— لقد فكرت فى الأمر يا مستر بوارو . . عاد ثلاثة. الكونتيسة فيرا روساكوف و مستر برنارد بارك والليدى رانكورن .

— وماذا تعرف عنهم ؟

— ان الكونتيس روساكوف روسية وهى امراة فاتنة عاصرت النظام السابق فى روسيا ثم لجأت الى انجلترا وتقيم فيها منذ بعض الوقت . وامس بعد أن ودعتنى دهشت حين وجدتها هنا ثانية واقفة تتأمل فى اعجاب مجموعة المراوح . وكلما فكرت فى هذا الأمر كلما بدا لى غريبا . فما هو رأيك يامستر بوارو ؟

— أرى تصرفها هذا غريبا فعلا . ولكن لننتقل الى الآخرين ، اذا سمحت .

— حسنا . جاء باركر ليبحث عن صندوق به مجموعة من التحف المصغرة كنت أريد أن اريها لليدى راتكورن

— ومن هى الليدى رانكورن هذه ؟

— هى امراة ذات شخصية قوية ومعروفة باخلاصها وتفانيها فى الأعمال الخيرية .

وقد جاءت لمجرد استرداد حقيبتها وكانت قدنسيتها فوق أحد المقاعد .

— حسنا يا سيدى . أمامنا اذن أربعة يمكن الاشتباه فيهم : الكونتيس الروسية والسيدة الانجليزية العظيمة ومليونير جنوب أفريقيا ومستر برنارد باركر. وبهذه المناسبة من هو مستر باركر هذا .

ويبدو ان السؤال ضايق مستر هاردمان لأنه أجاب مترددا :

ــ انه شاب ... شاب أعرفه .

ــ اعلم ذلك . ولكن ماذا يفعل هذا الشاب بالتحديد ؟

ــ انه رجل من رجال المجتمع ... وإذا جاز لى القول فانه على علم بكل ما يدور فى المجتمع .

ــ هل استطيع ان اعرف كيف تمكن من الاندماج فى نطاق اصدقائك ؟

ــ حسنا ... انه استطاع فى مناسبة أو مناسبتين ان ينجز لى بعض الأعمال الخاصة .

ــ استمر يا سيدى .

ــ ضغط هاردمان على يديه فى انفعال . كان من الواضح ان آخر شيء يريده كان هو ارضاء فضول محدثه . ولكن اذ رأى بوارو يلزم الصمت المطبق اضطر ان يرجع عن رأيه فقال :

ــ انت تعلم طبعا ان من المعروف عنى اننى أجمع المجوهرات القديمة . ويحدث فى بعض الأحيان ان تضطر احدى العائلات الى بيع تحفة ثمينة لديها دون ان تمر بين يدى احد التجار المعروفين . ومركزى يهيىء ميزة خاصة ، هى اننى استطيع تدبير بعض المبيعات الخاصة . وباركر يقوم نيابة عنى لتسوية التفاصيل المالية وللاتصال بالمشترين المحتملين ،وبذلك يجنب الطرفين كل ما يمكن ان يتعرضا له من مشاكل وعقبات .. وهناك مثلا الكونتس روساكوف ، فهى قد جاءت معها بمجوهراتها من روسيا وفى نيتها ان تبيعها ويمكنها ان تلجأ الى باركر لكى يجد لها مشترى ..

ــ فهمت . انك تمنح هذا الشاب كل ثقتك اذن ؟
ــ لم يقع منه حتى الآن ما يحملنى على الشكوى منـــه .
ــ مستر هاردمان ... من هو الشخص الذى نشتبه فيه من بين هؤلاء الأشخاص الأربعة .
ــ أوه ... يا له من سؤال يا مستر بوارو ؟ ... انهم أصدقائى كما قلت لك ، ولا أشـــتبه فى أى واحد منهم ... أو أشتبه فيهم كلهم ... عليك أنت ان تختار الصيغة التى توافقك .
ــ ولكن لاشك فى انك تشتبه فى واحد منهم بالذات ، وهو ليس الكونتس روساكوف ولا مستر باركر ... وعليه فلابد ان تكون الليدى رانكورن أو لعله مستر جونستون ؟
ــ انك تحرجنى يا مستر بوارو . ان كل ما يهمنى هو ان اتجنب أية فضيحة . ان الليدى رانكورن تنتمى الى اقدم وأعرق العلائلات الانجليزية . ولـــكن من المعروف لسوء الحظ ان خالتها الليدى كارولين كانت مصابة بداء بغيضة ... وكل أصدقائها كانوا يعرفون عنها ذلك ، وكانت خادمتها تعيد دائما الاشياء التى كانت تأخذها ســـهوا .. » وتنهد مستر هاردمـــان واستطرد « وأنت ترى الى أى حد أجد نفسى فى موقف شديد الحرج » .
ــ اذن فالليدى رانكورن لها خالة مصـــابة بداء السرقة ... آه ... هذا أمر يدعو الى الاهتمام ... هل تسمح لى بأن أفحص الخزانة التى فى الجدار ؟
رفع مستر هاردمان راسه ، ورفع بوارو البـــاب الحديدى لكى يفحص الخزانة وقال وهو يعالج بابها :
ــ اننى اتساءل لماذا لا ينقفل هذا الباب جيدا .

آه ... ما هذا ؟ ... قفاز مشتبك فى المفصلة ... قفاز رجل .

وعرضه على هاردمان الذى اسرع يقول : انه لبس لى .

ـــ آه ... اننى ارى شيئا آخر كذلك !

ومد يده داخل الخزانة واخرج علبة سجائر صغيرة فصاح هاردمان :

ـــ علبتى .

ـــ لا اظن ذلك يا سيدى . لان الحرفين الاولين اللذين عليها مخالفان للحرفين الاولين من اسمك .

واشار الى حرفين محفورين ومتشابكين . فقال هاردمان :

ـــ انك على حق . ان العلبة تشبه علبتى ولكن الحرفين مختلفان ب و ب . يا الهى ... باركر !

ـــ يبدو ذلك . ان هذا الشاب قليل الحرص . اذا كان القفاز ايضا ملكه فانه يقدم لنا بذلك دليلين ضده .

قال هاردمان : برنارد باركر ... ان هذاالاكتشاف يطمئننى فى الواقع يا مستر بوارو . اننى اترك لك مهمة العثور على المجوهرات . واذا رأيت ذلك ضروريا فارفع الأمر الى البوليس ... بشريطة ان تكون متأكدا من أن باركر هو المذنب فعلا .

قال لى بوارو ونحن نغادر بيت مستر هاردمان :

ـــ أرأيت يا صديقى أن مستر هاردمان يعترف بقانون للنبلاء وآخر للعوام !

وحيث اننى لم أخطر بعد بمرتبة النبل فاننى أتعاطف مع باركر . ان هذه القضية غريبة جدا . ألست معى

فى هذا ؟ ... انهاردمان يشتبه فى الليدى زانكورن وشكوكى أنا شخصيا ترمى الى الكونتس والى جونستون ، ولكن باركر الغامض هو المذنب .

— ولماذا تشتبه فى هذين الشخصين ؟

— أوه ... أن من اليسير جدا أن ينتحل المرء صفة الكونتس الروسية أو المليونير الافريقى . فمن ذا الذى يستطيع أن يكذب الواحد أو الآخر ؟ وبهذه المناسبة نحن الآن فى شارع بورى حيث يقيم صديقنا المهمل . فما رايك فى ان نطرق الحديد قبل ان يبرد ؟

أخبرنا أحد الخدم أن مستر برنارد باركر موجود. وقد وجدناه مستلقيا فوق بعض الوسائد وهو يرتدى معطفا منزليا من اللونين الارجوازى والبرتقالى . وقد أحسست على الفور بنفور كبير نحو هذا الشاب الشاحب اللون المخنث الذى يتكلم برقة مصطنعة .

وبادره بوارو بالهجوم فقال :

صباح الخير يا سيدى . اننى قادم من عند مستر هاردمان . لقد سرق بعضهم كل مجوهراته فى أصيل الأمس . اسمح لى أن أسألك أيها السيد ... هل هذا القفاز لك ؟

ولا ريب فى ان باركر كان بطىء الفهم بطبيعته فقد نظر الى القفاز مليا كما لو كان يحاول ان يجمع شتات أفكاره ثم قال :

— اين وجدته ؟

— أهو قفازك أيها السيد ؟

— كلا . انه ليس لى .

— وعلبة السجائر هذه ؟

— كلا بالطبع . ان علبتى من الفضة .

— حسنا أيها السيد . انني ذاهب لتوى لأعهد بالقضية الى البوليس .

— لو انني مكانك لما فعلت شيئا من ذلك . فان رجال البوليس فضوليون . وانما كنت أذهب لرؤية العجوز هاردمان ... ولكن انتظر لحظة .

ولكن بوارو كان قد تحول وانصرف .

وخاطبني ونحن في الشارع وهو يكتم ضحكة : اننا قدمنا له مادة للتفكير . وغدا سنرى كيف تسير الأحداث .

وفى خلال الأصيل من ذلك اليوم وقعنا على الجديد فى قضية هاردمان : فقد فتح باب المسكن الذى تقطن فيه ووقفت بعتبته غادة هيفاء ذات جمال رائع أخاذ ترتدى ثيابا حريرية . لها حفيف جميل انستنا لفحة الهواء الباردة اللاذعة التى هبت من خلال الباب الذى تركته . وقد أدركنا على الفور أن الكونتس روسكوف امرأة مزعجة .

وقالت بلهجة تشوبها لكنة أجنبية :

— هل أنت هركيول بوارد ؟ .. ماذا فعلت أيها البائس ؟ ... أتتهم ذلك الشاب المسكين ! ... هذا عار ... فضيحة ... ان برنارد ملاك ... حمل صغير ... لايمكن ان يفكر فى سرقة شىء انه بذل الكثير من أجلى ... ولا يمكننى ان أقف مكتوفة اليدين وأنت تعذبه كالأمير زاتخوف تحت خناجر البلاشفة .

— سيدتى ... أهذه علبة سجائره ؟

وقدم لها بوارو العلبة التى وجدها فى الخزانة . ففحصتها فى صمت ثم قالت :

— نعم . انها علبته . انني أعرفها .... ولكن ما الغرابة فى هذا ؟ .. هل وجدتها فى بيت مستر

هاردمان ... اننا كنا هناك جميعا . وأظن انهـا سقطت منه . آه لكم يا معشر رجال البوليس . انكم أسوأ من أعوان القيصر .

ــ وهل هذا قفازه يا سيدتى ؟

ــ وكيف تريد منى ان أعرف ذلك ؟ انه اشبه بأى قفاز آخر .

لا تحاول أن تعترض طريقه ... اننى أريد أن تبرأ ساحته . يجب ان يزول كل شك يلحق بسمعته . سوف تعنى بـه . أليس كذلك ؟ اننى سـأبيع كل مجوهراتى وسأعطيك كثيرا من النقود .

ــ سيدتى ...

ــ لقد فرغنا من هذا الامر . لقد قلت كلمتى ... كلهـا .. كلا .. كلا .. لا تحتـج .. يا للشـاب المسكين ! انه جاءنى والدموع ملء عينيـه فوعدته قائلة : سأنقذك . سأذهب للقاء ذلك الرجل ... ذلك الغول ... ذلك الوحش ... دع ثيرا تعمـل .... اتفقنـا الآن . سأنصرف مطمئنة الى وعدك كرجل شريف .

واختفت كما جاءت تاركة وراءها نفحة من العطر الجميل فصحت :

ــ يالهـا من امرأة ! ... هل رأيت الفراء التى ترتديها .

ــ نعم . وهى فـراء طبيعية ... ولا أظـن ان الكونتس الزائفة ترتدى فراء طبيعية . واليك حدس بسيط ياهاستنجر .. اننى أعتقد انها روسية حقا... لقد ذهب مستر برنارد واشتكى اليهـا اذن وهـذا يدل على أن علبة السجائر ملكه حقا واننى اتسـاءل عما اذا كان القفاز ...

وأخرج بوارو من جيبه فردة قفاز أخرى ووضعها وهو يبتسم بجوار الفردة الأولى . كانت الفردتان لقفاز واحد .
وسألته : اين وجدت الفردة الثانية ؟
ــ كانت ملقاة على مقعد وبجوارها عصا فى بهو شارع بورى . ان مستر باركر هذا شاب حريص جدا حقا ... والواقع يا صديقى اننا نقترب من نهاية هذه القصة . وسأقوم بزيارة الى بارك لين للشكليات فقط .
وغنى عن البيان اننى سأرافق بوارو . لم يكن جونسون فى بيته ولكن سكرتيره الخاص أخبرنا . بدون أى تردد . ان مخدومه قد وصل حديثا من أفريقيا الجنوبية وان هذه أول مرة يزور فيها انجلترا . وقال بوارو :
ــ اظنه يهتم بالأحجار الكريمة ؟
تهته السكرتير وقال : ــ بل قل انه يهتم بمناجم الذهب .
خرج بوارو من الحديث وهو يفكر . وفى وقت متأخر من تلك الليلة وجدته غارقا فى قراءة كتاب فى قواعد اللغة الروسية . فصحت :
ــ يا الهى يابوارو ... هل تتعلم الروسية لكى تتحدث مع الكونتس بلغتها الأصلية .
ــ الحق يقال أنها لا تبدى أى اهتمام بانجليزيتى .
ــ ولكن الروسيات العريقات يجدن الحديث بالفرنسية .
ــ انت منبع معلومات لا ينضب يا هاستنجر .. سأكف اذن عن الاهتمام بتعقيدات الحروف الروسية .
والقى بالكتاب فى حركة مسرحية ولكننى مع ذلك

لم اطمئن كلّ الاطمئنان ، لأننى رأيت وميضــا أعرفه حق المعرفة يلمع فى عينيه . وكانت هذه علامة لاتقبل الجدل على ان بوارو كان مسرورا وراضيا عن نفسه.

قلت فى لهجة ذات مغزى : لعلك تشــك فى انهــا روسية حقا . هل تريد ان تختبرها ؟

ــ كلا . كلا . اننى لا اشك فى جنسيتها .

ــ اذن ؟

ــ اذا أردت ان تنجــح فى هذه القضــية حقــا يا هاستنجز فاننى اوصيك بأن تقرأ « مبادىء النحو الروسى » . فهو كتاب ذو قيمة لا تقدر .

وضحك ضحكة صغيرة خافتة وأبى أن يحــدد لى فكرته . فأخــذت الــكتاب الذى القــاه ورحت أقلب صــفحاته ولــكننى لم أجد فيه حلا للغز الذى قدمه بوارو .

لم يأتنا صباح اليوم التالى بأى نبأ . كما ان بوارو لم يبد أى استياء لذلك ، ولكن بعد أن فرغنا من تناول طعام الافطار عبر عن رغبته فى الذهاب لزيارة مستر هاردمان فى فترة الضحى . وعندما وصلنا الى منزل رجل المجتمع وجدناه اكثر هدوءاً مما تركنــاه بالأمس وقال :

ــ حسنا يا مستر بوارو ... هل اهتــديت الى شىء ؟

ناوله المخبر القصير ورقة صغيرة وهو يقول : ــ هذا هو اسم الشخص الذى اخذ مجوهراتك ياسيدى. هل يجب أن أعهد بالقضية الى رجال البوليس ؟ أم لعلك تفضل ان استرد لك مجوهراتك دون اخطــار السلطات ؟

راح هاردمان ينظر فى ذهول الى الورقة التى فى يده . وعندما هدأ روعه اسرع يقول :

ـــ اننى افضل تجنب الفضيحة . اننى أفوضك تفويضا كاملا يا مستر بوارو . ولاشك عندى فى انك ستحسن التصرف .

وعندما خرجنا استدعى بوارو سيارة اجرة وطلب من السائق ان ينطلق بنا الى فندق كارستون . وهناك طلب رؤية الكونتيسة روساكوف . ولم تمض لحظات حتى اقتادنا احد الخدم الى سكنها . كانت ترتدى ثوبا جميلا من الدرابية مشغولاً بالدانتلا . وتقدمت الينا باسطة عن هذا الفتى المسكين ؟

ـــ مستر هركيول ؟ هل افلحت ؟ هل أزلت الشبهات عن هذا الفتى المسكين ؟

ـــ سيدتى الكونتس . ليس هناك ما يخشاه . صديقك مستر باركر من البوليس .

ـــ انت رجل عظيم !

ـــ ولكننى . من ناحية اخرى يا سيدتى الكونتس وعدت مستر هاردمان بأن مجوهراته سوف ترد اليه اليوم بالذات .

ـــ حسنا ؟

ـــ واكون شاكرا لك يا سيدتى اذا تكرمت وأعطيتنى اياها بدون ابطاء .

ويؤسفنى أن اضطر الى استعجالك ، ولكن هناك سيارة أجرة فى انتظارى . . . فى حالة اذا ما اضطررت الى الذهاب الى سكوتلانديارد . اننا معشر البلجيكيين معروفون بالاقتصاد ولا أريد أن يدور العداد وقتا طويلا .

وكانت الكونتس قد اشعلت لفافة ، وبقيت لحظة

جامدة فى مقعدها وهى تسحب أنفاسا من الدخان ناظرة الى بوارو . وفجأة ضجت بالضحك ونهضت واقفة ومضت الى مذبها واخذت منه حقيبة صغيرة سوداء طوحت بها الى بوارو وقالت فى لهجة مازحة وهادئة فى نفس الوقت :

ـــ اننا معشر الروسيين على النقيض منكم أيها البلجيكيين نميل للاسراف ولكن لسوء الحظ فان ذلك يقتضى ان نكون اغنيـــاء . لا داعى من التحقق فان المجوهرات كلها موجودة .

نهض بوارو وقال : اننى اهنئك على ذكائك وسرعة بديهتك يا سيدتى .

ـــ ليس لدى الخيار حيث ان سيارة الأجرة فى انتظارك .

أنت ظريفة جدا . هل تنوين البقاء فى لنـــدن مدة طويلة .

ـــ كلها للأسف ... وذلك بسببك انت أيها الرجل الفظيع .

ـــ أرجو ان تتقبلى اعتذاراتى .

ـــ لعلنا نلتقى فيما بعد .

ـــ ارجو ذلك .

صاحت ضاحكة : أما انا فلا ... ان فى قولى هذا اطراء كثيرا لك يا مستر بوارو لأن فى العالم رجالا قلائل اخشى ان التقى بهم الى الملتقى يا مستر بوارو .

ـــ والى الملتقى يا سيدتى الكونتيس . آه . أرجو . معذرتك ... كدت أنسى .

اسمحى فى ان أعيد اليك علبة سجائرك .

وانحنى أمامها وبسط يده اليها بالعلبة الصـــغيرة

فأخذتها دون أى تردد .. اكتفت بأن عبست قليلا وتمتمت فى صوت خافت :
ــ اشكرك .
صاح بوارو فى طرب ونحن نهبط السلم : ياللها من امرأة ! ياالهى ! وأى امرأة ! ولا كلمة احتجاج واحدة ... او اى خداع ... مجرد نظرة أدركت بعدها جدية الموقف . اقول لك ياهاستنجز ان المرأة التى تقبل الهزيمة بمثل هذه البساطة وبمثل هذه الابتسامة وهذا الاستخفاف يمكنها ان تذهب بعيدا . انها شديد الخطر وأعصابها من حديد ... انها ...
وتعثرت قدمه فى احدى الدرجات وكاد يقع فقلت له : حاول ان تهدىء من روعك وان تنظر الى موضع قدمك يا بوارو .قل لى ، متى بدأت تشك فى الكونتيس .
ــ أى صديقى . ان القفاز وعلبة السجائر : ولنقل الدليل المزدوج ، مما يضايقانى . كان من الممكن أن يفقد برنارد باركر احدهما ولكن أن يفقد الاثنين معا ... فكلا . ان مثل هذا الأمر ليدل على طيش كبير . ومن ناحية اخرى لو ان أحدا وضعهما هناك بقصد اتهام الشاب فان دليلا واحدا كان يكفى .. علبة السجائر أو القفاز ... اما الاثنان معا فلا . وعلى ذلك فقد استنتجت ان أحد الدليلين ليس ملكا لباركر. وقد فكرت فى بادىء الأمر ان القفاز ليس ملكا له ولكن حين وجدت الفردة الثانية فى بيته اضطررت ان اعترف بالأمر الواقع . وتساءلت عندئذ لمن تكون علبة السجائر . لم تكن تخص رانكورن ، اذ ان الحروف الأولى التى عليها لا تطابق الحروف الاولى من اسمها. مستر جونسون ؟ ... لو أنها كانت ملكه فان معنى ذلك انه قدم الى انجلترا باسم مستعار . ولكننى

عندما سألت ستركبرد أدركت على الفور ان موقفه لا غبار عليه . فان الشاب لم يحاول أن يخفى ماضى سيده . الكونتيس ؟ ... انها . على مايبدو قد احضرت مجوهراتها معها من روسيا لكى تبيعها . وما ان تنزع الاحجار من تركيباتها حتى يتعذر اثبات أنها سرقت من خزانة مستر هاردمان . وكان من السهل عليها ان تختلس قفازا من باركر وان تتركه فى الخزانة بعد ان تسرقها . ولكن لم يكن فى نيتها بدل تأكيد ان تترك علبة سجائرها فيها .

ــ ومع ذلك ، اذا كانت العلبة ملكا لها فلماذا تحمل حرفى ب.ب. الحرفين الاولين من اسمها هما ف.ر.

رمانى بوارو بابتسامة تدل على اشفاق كبير وقال :

ــ هذا صحيح يا صديقى . ولكن الحروف الروسية تختلف عن الحروف الانجليزية .

فالباء الاولى باء خفيفة تقابلها فى الروسية الفاء ، والباء الثانية باء ثقيلة تقابلها الراء .

ــ ما أظنك كنت تتوقع أن أخمن ذلك . فاننى لاأعرف الروسية .

ــ ولا انا يا هاستنجز . ولهذا راجعت كتاب النحو الروسى ... ونصحتك أن تلقى عليه نظرة .

وتنهد ثم أردف : ان هذه المرأة راقصة . ولدى احساس يا صديقى ... يكاد يكون مؤكدا ، بأننى سألتقى بها من جديد . ولكن أين ؟ هذا هو ما أتساءل عنه .

وهز كتفيه وقال بالروسية : « صبرا » .

المـــازق

خرج جون هاريسون الى الشرفة وأخذ يتأمل الحديقة الممتدة امامه لحظة . كان رجلا قويا ضامر الوجه ذا بشرة تميل الى الاخضرار . تدل قسماته الحادة على الحدة والصرامة . ولكن عندما تلين ملامحه فى ابتسامة كتلك التى بدت على وجهه فى تلك الحظة فانه يبدو جذابا .

كان جون هاريسون يحب حديقته . وهو فى هـــذه الليلة الحارة من ليالى أغسطس اجمل منها فى أى وقت مضى . كانت الزهور المتسلقة راقصة وزهور البسلة العطرة تملأ الجو بأريجها .

وارتفع صرير القط الحالم من تأملاته وجعله يستدير ... من ترى هذا الذى رفع باب الحديقة ؟ وبعد دقيقة نم وجه هاريسون عن دهشـــة عميقة لأن الشخص المتألق الذى يتقدم نحوه كان آخر شخص يتوقع أن يراه فى ذلك المكان .

ــ مستر بوارو ؟ ... يا لها من مفاجأة سعيدة ! .

والواقع ان الوافد الجديد لم يكن غير هركيول بوارو المشهور ، الذى ذاع صيته فى العالم أجمع .

قال : نعم . أنا هو . انك قلت لى ذات يوم . اذا مررت بالمنطقة فأرجوك أن تزورنى ...

وهاأنذا .

صاح هاريسون فى ارتياح ظاهر : واننى لجد سعيد.
وجلس ويتناول مشروبا .

واشار الى مائدة قد صفت عليها بضع زجاجات .
وتهالك بوارو فوق مقعد من الخيزران وقال :

ــ شكرا لك . أليس لديك أى عصير ؟ ... كلا ؟
لا اهمية لذلك سأشرب قليلا من الصودا ... من غير
ويسكى .

وأردف فى استياء بينما كان مضيفه يضع كأسا فى
متناول يده :

ــ ان شاربى قد أصبح رخوا للأسف ... وذلك
بسبب الحر .

ــ ما الذى جاء بك الى هذا المكان الهادىء ؟ ...
أهى رحلة للاستجمام ؟

ــ كلا يا صديقى ... اننى أقوم بتحقيق .

ــ فى هذا المكان المنعزل ؟

ــ نعم . فان كل الشرور لا تقع فى وسط المدينة
كما نعرف .

ضحك محدثه وقال : كانت ملاحظتى سخيفة ...
فى أية جريمة تحقق هنا ... الا اذا كان سؤالى هذا
يدخل فى نطاق الأسئلة التى لا يجب القاؤها .

ــ كلا . كلا ... اننى أفضل أن نتحدث عنها .

حدق هاريسون فى المخبر السرى مذهول وقال :
أهى قضية هامة ؟

ــ على جانب كبير من الأهمية .

ــ ماذا تعنى ؟

ــ ان الأمر يتعلق بجريمة قتل .

أثارت لهجة هركيول بوارو دهشة هاريسون كما

أثارت نظرته اليه ارتباكه واضطر أن يبذل مجهودا لكى يقول :

— ومع ذلك فاننى لم اسمع جريمة قتل قد وقعت فى هذه الناحية .

— وهذا لا يدهشنى .

— من الذى قتل ؟

— لم يقتل أحد حتى الآن ..

— اننى لا افهم .

— وهذا هو السبب فى انك لا تعرف . اننى أقوم بالتحقيق فى جريمة قتل سترتكب فان هذا أفضل ، لأن فى مقدورى عندئذ أن أمنع وقوعها .

اننى لا أفهم شيئا مما تقول يا مسيو بوارو . جريمة قتل فى هذه الناحية ؟ ... هذا غير معقول .

— ولكن لا مفر من وقوعها ... ما لم نتصرف فى الوقت المناسب .

— نتصرف ؟

— اننى سأحتاج الى معونتك .

ومرة أخرى نظر اليه بوارو فى حدة وارتبك هاريسون دون أن يدرى السبب . واستطرد بوارو .

— اننى هنا يا مستر هاريسون لأننى .. لأننى أميل اليك .

وأردف يقول وهو يشير الى شجرة فى الحديقة :

اننى أرى هناك عشا للدبابير ... يجب أن تهدمه .

دهش هاريسون لهذا التغيير المفاجىء فى الحديث فعبس ونظر الى حيث ينظر المخبر السرى وقال :

— هذا ما أنوى أن افعله فعلا ... أو بالاحرى سيتكفل الشاب لانجتون بذلك بدلا منى .. هل تتذكر كلود لانجتون ؟ .... كان موجودا فى الحفلة التى

تعارفنا فيها . لقد عرض على أن يأتى ليهدم عش الدبابير هذا المساء . ومن حديثه يبدو انه معتاد على مثل هذا العمل .

ـــ وكيف يقوم بذلك ؟

ـــ سيرش العش بالبنزين بواسطة رشاشة خاصة وسيأتى برشاشته لأن رشاشتى صغيرة جدا .

ـــ هناك طريقة أخرى وهو استخدام سيانور البوتاسيوم .

ـــ اعرف ذلك ولكن ليس من الحرص فى شىء أن يحتفظ الانسان بمثل هذه المادة لديه ..

ـــ انه فى الواقع سم قاتل .

وأمسك لحظة ثم عاد يقول : سم قاتل .

ـــ ولكنه مفيد لكى يتخلص المرء من حماته ، اليس كذلك .

وضحك ولكن بوارو لم يشاركه ضحكه وانما قال :

ـــ هل أنت واثق ان مستر لانجدون سيهدم وكر الدبابير بالبترول .

ـــ كل الثقة . لماذا .

ـــ لقد ذهبت بعد ظهر اليوم آلى صيدلى بارشستر وكانت المواد التى أرغب فى شرائها تقتضى أن أوقع فى سجل السموم . وقد وقع بصرى على الاسم الأخير فى السجل ... كان توقيع كلود لانجدون ... وكانت المادة التى اشتراها هى سيانور البوتاسيوم .

ـــ ولكن لانجدون أكد لى انه لم يستخدم هذه المادة أبدا وانه لا يحبذ استخدامها لابادة الدبابير .

تأمل بوارو الزهور . وسأل فى صوت محايد : هل تشعر بميل نحو لانجدون . ؟

فوجىء هاريسون بهذا السؤال وقال متلعثما : اننى ... طبعا ... لماذا ؟

ــ مجرد فضول .

ولما لم يجب محدثه استطرد يقول : اننى انساءل اذا كان هو يبادلك نفس الشعور .

ــ ماذا تقصد يا مستر بوارو ؟ ... أهناك فكرة ما تدور برأسك .

ــ سأكون صريحا معك انك خطيب للآنسة موللى دين ، وهى فتاة ظريفة فائقة . وقبل خطبتك لها كانت موشكة على الزواج بكلود لانجدون ، وقد هجرته من أجلك .

أومأ هاريسون برأسه موافقا . واستطرد بوارو : اننى لا أحاول أن أعرف الأسباب ... وهى أسباب لها مبرراتها طبعا ... ولكن لن نكون مبالغين اذا افترضنا ان لانجدون لم ينس ولم يصفح .

ــ أؤكد لك انك مخطىء يا مستر بوارو .. كان لانجدون رياضيا فى تصرفه . لقد تصرف تصرفا سليما . بل انه حافظ على بصداقته لى .

ــ ألا يبدو لك ذلك غريبا ... انك استخدمت كلمة الدهشة ومع ذلك فلا أراك مندهشا .

ــ ماذا تعنى ؟

ــ ان الرجل يمكن أن يخفى حقده تماما حتى اللحظة التى يراها مناسبة .

ــ حقده ؟

وهز هاريسون رأسه وابتسم . ولكن المخبر السرى قال فى حدة :

ــ ان الانجليز أغبياء . انهم يتصورون انهم يستطيعون خداع العالم أجمع ، وان أحدا لايستطيع

خداعهم ... فالرجل الرياضي ... الكريم ... لن يفكر في أي سـوء من ناحيته أبدا . ولأنهم كرماء يتسمون بالشجاعة والغباء فانهم يموتون بغير داع.
ـ انك تحاول أن تحذرني ... انني أفهم الآن ... انك أتيت هنا بنية تحذيري من كلود لانجدون .

هز بوارو رأسه . وهب محدثه واقفا وقال : انك تخطيء في حكمك خطأ كبيرا يا مستر بوارو . اننا في انجلترا . والعاشق المصدود لا يضمد مدية في ظهر غريمه سعيد الحظ ، وهو يتوقع دس السم لـه .. انك تسيء الظن بلانجدون . ان هذا الشاب لن يؤذي ذبابة .

ـ ان حياة الذباب لا تهمني في شيء . وعلى الرغم من أنك تقول ان مستر لانجدون لا يؤذي ذبابة فانه يستعد الليلة بالذات لابادة آلاف من الدبابير .
لم يجب هاريسون . ونهض المخبر السري بدوره وتقدم فألقى بيده على كتف صديقه . وكان منفعلا لدرجة أنه هز الرجل الضخم وقال له :

ـ افق يا صاحبي ... افق وانظر الى المنحدر هناك . خلف هذه الشجرة . انك ترى الدبابير تعود الى وكرها هادئة بعـد يـوم كله عمل ؟ وفي أقل من نصف ساعة سيهدم وكرها ، ولكنها لا تشتبه في شيء . ليس هناك من يستطيع أن يحذرها . ليس لديها مثلا هركيول بوارو . أقول لك يا مستر هاريسون أن الجريمة هي شاغلي ... قتل أو بعد ارتكابها . قل لي متى سيأتي مستر لانجتون لتدمير عش الدبابير .
ـ لن يقدم لانجتون أبدا على ...
ـ متى ؟

ـــ فى الساعة التاسعة . ولكننى مازلت أقول انك مخطىء وان لنجتون لن يقدم ..

ـــ يا لهؤلاء الانجليز !

وأخذ بوارو قبعته وعصاه واجتاز ممر الحديقة ، ولكنه توقف فى منتصفها لكى يقول :

ـــ لن أبقى للمناقشة أكثر من ذلك ، فقد تثير حفيظتى ولكن ثق اننى سأعود فى الساعة التاسعة .

فتح هاريسون فمه ولكن المخبر السرى لم يترك له الفرصة لكى يتكلم فقد قال :

ـــ اعلم ما سوف تقول : ان لنجتون لن يقدم أبدا على مثل هذا العمل . الخ ... آه لن يجرؤ ! ولكن هذا لن يمنعنى من القدوم فى الساعة التاسعة لكى أشـــاهد تدمير الوكر ... أظن انها رياضـــة اخرى تمارسونها أنتم معشر الانجليز .

ومن غير أن ينتظر جوابا استأنف سيره ودفع الباب الذي يصدر صريرا . واذ خرج الى الطريق أبطأ فى السير واختفى ماكان يغمره من نشاط وارتسمت على ملامحه أمارات الجد والاضطراب ثم أخرج ساعته من جيبه . كانت الثامنة وعشر دقائق فتمتم يقول :

ـــ أكثر من ثلاثة أرباع الســـاعة بقليـــل . اننى لأتساءل ، اليس من الأوفق أن أبقى ؟

وتوقف وهم بأن يعود أدراجه . ولكن احساســـا مبهما خامره واستأنف سيره نحو القرية . ومع ذلك فلم يفارقه اضطرابه وهز رأسه مرة أو مرتين فى غير ارتياح .

وقبل التاسعة بقليل كان قد عاد الى مقربة من بيت صديقه . كانت الليلة صافية وهادئة ، ولم تكن هناك أية نسمة تهز أوراق الشجر . كان الجو من الهدوء

بحيث بدا أن شرا يوشك أن يقع ... الهدوء الذى يسبق العاصفة .

وحث بوارو خطاه ... أحس فجأة بالقلق والشك ... ولم يدر ما الذى يخشاه .

وفى هذه اللحظة دفع باب الحديقة واندفع منه كلود لانجتون فى خطوات واسعة وما أن شاهد بوارو حتى أجفل وقال :

ــ اوه ... طب مساء .

ــ طاب مســـاؤك يا مستر لانجتون . انك جئت مبكرا .

ــ معذرة ؟

ــ هل دمرت وكر الدبابير ؟

ــ اوه ! ... ماذا فعلت اذن ؟

ــ تحدثت لحظة مع العجوز هاريسون . يجب أن أسرع الآن . لم اكن أدرى انك مقيم فى المنطقة يا مستر بوارو .

ــ جئت لكى أسوى أمرا .

ــ آه . حسنا . ستجد هاريسون فى الشرفة . معذرة . لا أستطيع أن أبقى اكثر من ذلك .

وابتعد فى خطوات سريعة . وتأمله بوارو وهو يوشك أن يختفى . شاب عصبى .. وسيم ولكنه ذو فم رخو .

ــ اذن فسأجد هاريسون فى الشرفة ... اننى لأتساءل .

ومر من الباب وتقدم نحو البيت . كان هاريستون جالسا فى الشرفة لا يتحرك . بل انه لم يحول رأسه عند اقتراب بوارو .

ـ آه ... صاح بوارو : هاأنت سالم ومعافى يا صديقى . أليس كذلك ؟

وبعد لحظة صمت أجابه هاريسون فى صوت غريب:

ـ ماذا كنت تقول ؟

ـ قلت انك سالم ومعافى .

ـ سالم ومعافى؟ ... نعم . ولماذا لا اكون كذلك.

ـ ألا تشعر بأى سوء به ... يسرنى ذلك .

ـ عم تتكلم ؟

ـ عن كربونات الصودا .

اعتدل هاريسون فى مجلسه فجأة وقال : كربونات الصودا ... ماذا تعنى ؟

أبدى المخبر القصير حركة اعتذار وقال : اننى آسف كثيرا . ولكننى وضعت بعضا منه فى جيبك .

ـ ولكن لماذا ؟

واذ رأى دهشة محدثه وذهوله قال بوارو فى هدوء كالمدرس الذى يلقن تلميذا درسا صعبا .

ـ ان ميزة البوليس السرى هو انه كثير الاحتكاك بالمجرمين والأشرار . وفى مقدور هؤلاء أن يعلموننا بأشياء غريبة وعلى جانب كبير من الأهمية . وقد التقيت ذات يوم بنشال لم يرتكب الجريمة التى يتهمونه بها . ولانى تمكنت من براءته فقد شكرنى بالطريقة الوحيدة التى يعرفها ، بأن اخبرنى بحيل مهنته وخدعها .

وبهذه الطريقة تعلمت القدرة على تفتيش جيوب الشخص الذى أريده دون أن يساوره أدنى شك . ذلك بأن أضع يدا على كتفه واتظاهر بالاضطراب وأصبح فلا يحس بشىء . واعرف كذلك كيف أنقل محتويات جيبه الى جيبى أنا واستبدله بشىء آخر . وفى هذه الحالة بالذات استبدلت ما فى جيبك بيكربونات الصودا .

واردف يقول فى لهجة حالمة : اذا أراد رجل أن يحصل مثلا على سم وفى نيته أن يدسه فى كوب ما دون ان يلحظه أحد ، فانه يحتفظ به بالضرورة فى جيب جاكتته الأيمن . واذ أدركت ذلك لم أجد أية صعوبة فى القيام بلعبتى الصغيرة .

واخرج من جيبه بضع حبات من الكريستال الأبيض تأملها وهو يقول :

ـــ وانه لطيش كبير أن تضـــع فى جيبك سيانور البوتاسيوم بهذه الطريقة .

وفى هدوء أخرج من جيب من جيوبه زجاجة عريضة ذات عنق واسع وضع فيها حبات الكريستال ، ثم ملأ الزجاجة بالماء وسدها وراح يهزها حتى ذابت الحبوب البيضاء . وراح هاريسون ينظر اليه مسحورا وهو يقوم بذلك .

وبعد أن تأكد من نتيجة عمله مضى الى الشجرة التى يقع فيها وكر الدبابير ورفع السدادة عن الزجاجة ، وأدار رأسه وصب السائل فى الوكر ثم ارتد خطوة الى الوراء وراح يتأمل المنظر الذى أمامه .

كانت بعض الدبابير قد عادت الى وكرها فى تلك اللحظة وما كادت تحط على عتبة الوكر حتى اهتزت وسقطت صريعة . وخرج البعض الآخر من الوكر زاحفا لكى يلاقى حتفه على الفور . وهز بوارو رأسه وعاد الى الفراندة واكتفى بأن قال :

ـــ ميتة سريعة .

واستطاع هاريستون أن ينطق أخيرا فقال : ماذا تعرف بالتحديد ؟

ـــ كما سبق ان قلت لك فقد رأيت اسم كلود لانجتون

فى سجل السموم أما ما لم أذكره لك فهو اننى التقيت به بعد ذلك بقليل ، وبمحض صدفة فأخبرنى بأنه اشترى بعضا من سيانور البوتاسيوم بناء على طلبك، لتدمير وكر للدبابير . وقد أدهشنى ذلك بعض الشىء فقد تذكرت ذلك المساء الذى التقينا فيه عندما تكلمت عن مزايا البترول واستهجنت استخدام سيانور البوتاسيوم لأنه شديد الخطر .

— استمر .

— وقد راقبت كلود لانجتون ومولى دين وهما يظنان انهما بعيدان عن أعين الرقباء . ولا ادرى لأى سبب اختلفا ولماذا القت الفتاة بنفسها بعد ذلك بين ذراعيك . ولكننى وأنا أنظر اليهما أدركت على الفور انهما نسيا خلافهما وان مس دين قد عادت الى حبيبها .

— وبعد ؟

— وكنت أعرف شيئا آخر كذلك يا صديقى . فقد كنت أمر منذ أيام فى شارع هارلى ورأيتك وانت تخرج من عيادة طبيب أعرف تخصصه . ورأيت التعبير الذى انطبع على وجهك عندئذ ، وهو تعبير لم أر مثيله الا مرة أو مرتين فى حياتى ، ومع ذلك فاننى لا أستطيع أن أنساه . كنت تشبه الرجل الذى سمع لتوه الحكم عليه بالموت . اننى لست مخطئا ، أليس كذلك ؟

— قال لى اننى لن أعيش أكثر من شهرين .

— انك لم تعرفنى عندئذ لأنك كنت تفكر فى امور أخرى . وشاهدت فى عينيك شعورا كذلك الشعور الذى يحاول الرجال عادة التغلب عليه وهو الشعور بالحق . وكذلك أنت لم تكن تحاول أخفاءه ، ذلك لأنك لم تكن تظن أن هناك من يراك .

— استمر .

ـــ لم يبق الكثير . كنت أمر اليوم بالمنطقة ورأيت اسم لانجتون فى سجل الصيدلى ، وكما قلت لك كنت قد التقيت به قبل أن اتى لزيارتك . ونصبت لك الفخ ، فأنكرت ذلك وطلبت من لانجتون أن يشترى لك سم السيانور ، أو بمعنى آخر تظاهرت بالدهشة . كما أن زيارتى أثارت حيرتك فى بادىء الأمر ولكنك لم تلبث أن أدركت الى أى حد يمكن شهادتى أن تكون ذات تأثير فى صالحك ، فحاولت تعزيز شكوكى . وكنت أعرف من لانجتون نفسه انه يجب أن يأتى الى هنا فى منتصف التاسعة . وقد قلت لى أنت انه سيأتى فى التاسعة ظنا منك اننى سأحضر لكى أعاين الأحداث .

ـــ لماذا أتيت . ؟ . لماذا ؟

اعتدل بوارو فى جلسته وقال : قلت لك اننى أتيت لأن الجريمة شاغلى .

ـــ جريمة القتل ؟ .. قل انك تقصد الانتحار ...

ـــ أوه ، كلا . انما أقصد القتل . كان المفروض أن يكون موتك سريعا وسهلا ولكن الموت الذى كنت تدخره للانجتون كان أسوأ ما يمكن أن يحتمله انسان فقد اشترى السم وحضر لزيارتك وبقى معك وحده. ثم تموت فجأة ويعثرون على السيانور فى كأسك ، فيدفع كلود لانجتون حياته ثمنا لموتك ... كانت هذه هى خطتك ؟ أليس كذلك ؟

ومرة أخرى تأوه هاريسون وقال : لماذا أتيت ؟

ـــ لأن ذلك كان واجبى . ومع ذلك فقد حملنى الى المجىء سبب آخر . هو اننى أميل اليك . استمع يا هاريسون . انك مصاب بداء عضال لا علاج له كما انك فقدت الفتاة التى تحبها ، ولكنك لست قاتلها

صارحني القول الآن هل استراح ضميرك أم انك لاتزال تندم على انني أتيت ؟

لزم هاريسون الصمت مدة طويلة ثم اعتدل وقد انبسطت أساريره وبدا عليه الهدوء والوقار كرجل تغلب على حبه ، وبسط يده قائلا :

ــ الحمد لله انك أتيت فى الوقت المناسب يا مستر بوارو .

سر اختفاء الخادمة

كان من عادتى ، فى الوقت الذى كنت أشارك فيه صديقى هركيول بوارو مسكنى أن أقرأ له عناوين جريدة الديلى وسباتس التى تظهر فى الصباح .

والديلى وسباتس جريدة تحاول أثارة الجماهير بشتى الطرق . انبــاء السرقات وجــرائم القتل فى صفحاتها الأخيرة . وانما كانت تبدو للعيان فى الصفحة الأولى وبحروف كبيرة .

موظف فى بنك يختفى ومعه بما قيمته خمسين ألف جنيه من السندات القابلة للبترول .

زوج ينتحر بأن يضع رأسه فى فرن الغاز لأنه كان تعسا فى حياته الزوجية .

اختفاء كاتبة اختزال حسناء فى الواحدة والعشرين من عمرها ... أين ذهبت ادنافيلد ؟

والآن قلت لصديقى :

ــ عليك أن تختار يا بوارو ... موظف بنك هارب ... أو حادث انتحار غامض ... أو اختفاء فتاة ... ما الذى يثير اهتمامك فى ذلك ؟

كان صديقى معتدل المزاج فى ذلك اليوم فهز رأسه وقال :

ــ لا يثير اهتمامى شيء من كل هــذا يا عزيزى

هاستنجز ، فاننى اليوم أميل الى الكسل . ولابد من شيء غير عادى لكى يشدنى من مقعدى ... ان لدى مسـائل خاصـة على جانب كبير من الأهمية أريد تسويتها .

— وما هى ؟

— يجب أن أفكر فى ثيابى أولا . فهناك اذا لم أكن مخطئا بقعة من الدهن على جاكتتى الرمادية لحلتى الجديدة . حقيقة انها بقعة واحدة ولكنها تكفى لازعاجى ثم هناك معطفى الشتوى ويجب أن أرشه بمسحوق مضاد للعتة . وأظن ... نعم ، أظن أن الوقت قد حان لكى أعنى بشاربى ، ويجب أن أدلكه بالدهان ..

قلت وانا أمضى الى النافذة : حسنا .. أعتقد انك لن تستطيع أن تقوم بهذا البرنامج المثير ، فاننى أسمع نفس جرس الباب ولا ريب انه عميل أقبل من أجلك.

قال بوارو فى هدوء : ما لم تكن للقضية التى يأتينى بها أهمية وطنية فاننى لن أهتم بها .

وبعد لحظة دخلت الغرفة سـيدة بدينة متوردة الوجه ، وكانت تلهث مما يدل على أنها صعدت السلم بسرعة وقالت وهى تتهالك فوق مقعد :

— هل أنت مستر بوارو ؟

— نعم ... أنا هركيول بوارو .

قالت الزائرة وهى تتأمله بعينى فاحصة : انك لست كما تصورت أبدا . أتراك دفعت ثمن ما ذكرته بتلك الجريدة من أنك مخبر سرى ممتاز ؟ ... أم هو المحرر الذى كتب عنك ذلك من تلقاء نفسه ؟

قال بوارو وهو ينهض واقفا : سيدتى !

— معذرة ، ولكنك تعرف جرائد اليوم ، فما أن تبدأ

بقراءة مقال مثير ، ماذا قالت العروس لصديقتها العزباء ... حتى تجد نفسك أمام اعلان لمعجون اسنان ... مجرد خداع ... ولكن أرجو ان لا أكون قد أسأت اليك . سأقول لك ماذا أريد أن تفعل من اجلى ... أريد أن تعثر لى على طاهيتى .

نظر بوارو اليها مليا دون أن تسعفه بديهته بالرد المناسب . فى حين أشحت بوجهى لكى أخفى الابتسامة واستطردت المرأة تقول :

ــ هذه الأفكار الحديثة هى السبب ، فهى تدير رؤوس الخادمات ، أن كلا منهن تريد أن تصبح موظفة فى مكتب أو شىء من هذا القبيل اننى أتمنى أن أعرف مم تشكو طاهيتى ، فهى حرة بعد الظهر وليلة كل أسبوع . واجازة يوم كامل كل أسبوعين . وهى تأكل من نفس طعامى ... ثم اننى لا أطهو طعامى بالسمن الصناعى وانما بأجود أنواع الزبد ... الزبد الطبيعى .

وتوقفت لكى تسترد أنفاسها ، وانتهز بوارو هذه الفرصة لكى يرد عليها بلهجته المتعالية وهو يهب واقفا :

ــ سيدتى . أظن انك اخطأت ... اننى لا أهتم بالبحث عن الخدم ... اننى مخبر سرى .

أجابته الزائرة : اننى أعرف ذلك . ألم أقل لك اننى أريد أن تعثر لى على طاهيتى ؟ ... انها غادرت البيت يوم الأربعاء الماضى دون أن تترك كلمة واحدة ولم تعد حتى الآن .

ــ اننى آسف يا سيدتى . ولكننى لا أهتم بهذا النوع من القضايا . مع السلامة يا سيدتى .

صاحت السيدة تقول فى ابتياء : آه اذن . فالأمر كذلك ؟ ... متكبر ومتعجرف ... لاتهتم الا بالأسرار

الحكومية وبمجوهرات الطبقة الراقية ! ولكننى أقول لك ان الخادمة مهما يكن من أمرها ، لها قيمة تفوق قيمة عقد من الماس بالنسبة لامرأة مثلى . لا يمكن أن نكون جميعا من الطبقة الراقية وأن ننتقل فى سيارات كاديلاك ونتحلى بالمجوهرات البراقة . ان الطاهية الجيدة طاهية ثمينة واذا أنت فقدتها فان معنى ذلك انك فقدت شيئا عزيزا ، تماما كما تفقد سـيدة من الطبقة الراقية عقدا من الماس .

نظـر بوارو اليها فى وقار محاولا أن يتغلب على عواطفه ، وأخيرا راح يضحك ثم جلس وهو يقول :

ـــ انك على حق يا سيدتى . وملاحظاتك عادلة وحكيمة . ستكون هذه القضية نوعا جديدا بالنسبة لى ، فلم يسبق لى أن بحثت عن طاهية مفقودة . وانيا لقضية على جانب من الأهمية الوطنية تماما كما كنت أطلبها منذ لحظات . أذكرى لى قصتك اذن ... تقولين ان طاهيتك النفيسة خرجت يوم الأربعاء ولم تعد ... معنى هذا انها خرجت أول أمس .

ـــ نعم . وهو يوافق يوم أجازتها الاسبوعية .

ـــ ولكن لعلها أصيبت فى حادث . هل بحثت عنها فى المستشفيات ؟

كان هذا اعتقادى بالأمس ، ولكنها بعثت صباح اليوم بمن أخذ حقيبتها ، ولم تكتب لى كلمة واحدة . ولو انتى كنت موجودة بالبيت لما مر الأمر بمثل هذه السهولة ... يا لها من جرأة ... ولكننى كنت عند الجزار .

ـــ هل يمكنك أن تصفيها لى ؟

ـــ انها امرأة فى منتصف العمر ، بدينة ، ذات شعر وخطه الشيب رزينة جدا ، وقد أمضت فى وظيفتها السابقة عشر سنوات ، واسمها اليزا دان .

ـــ الم يقع بينكما اى خلاف يوم الأربعاء ؟
ـــ أبدا ؟ وهذا هو مايجعلنى لا اجد سبب لرحيلها .
ـــ كم خادمة لديك يا سيدتى ؟
ـــ اثنتان ... الطاهية ... وخادمة اخرى اسمها آنى ؛ وهذه الأخيرة فتاة رقيقة طائشة نوعا ما وكثيرة التفكير فى الرجال . ولكنها تجيد عملها اذا أنت راقبتها جيدا .
ـــ هل كانت علاقتها طيبة مع الطاهية .. ؟
ـــ كانتا متشاجرتان أحيانا ، ولكنهما بصفة عامة كانتا متفاهمتين .
ـــ الا يمكن لهذه الفتاة القاء بعض الضوء على هذا السر ؟
ـــ تقول انها لا تعرف شيئا ... ولكنك تعرف خدم اليوم ... انهم يساندون بعضهم البعض .
ـــ حسن يا سيدتى . يجب أن أتحقق من الأمر عن كثب ... اين تقيمين ؟
ـــ فى رقم ٨٨ شارع البرنس البيرت بكلابهام .
ـــ حسنا يا سيدتى . الى الملتقى الآن ، وسآتى لزيارتك خلال النهار .
انصرفت زائرتنا ، واسمها مسز تودا . ونظر بوارو الى فى شىء من الأسى وقال ،
ـــ حسنا يا هاستنجز ... هذه قضية من نوع جديد .. اختفاء طاهية كلابهام ... كلا ، كلا . لايجب أن يسمع صديقنا جاب شيما عن هذه القضية .
وعلى اثر هذه الكلمات وضع المكواة على النار ثم أزال بقعة الدهن من جاكتته الرمادية بعناية فائقة مستعينا بورقة نشاف . أما العناية بشاربه فقد أرجأها الى ما بعد وانتقلنا بعد ذلك فى طريقنا الى كلابهام .

كان شارع البرنس البرت تحف به من الجانبين مجموعة من البيوت الجميلة الصغيرة المتشابهة ،تكسو نوافذها ستائر من الدانتلا المكساة ومقابض ابوابها من النحاس البراق .

وضغطنا على جرس المنزل رقم ٨٨ ففتحت لنا الباب خادمة حسنة المظهر وظهرت مسز تود خلفها وصاحت :

ــ لا تنصرفى يا آنى . ان هذا السيد مخبر سرى وسيلقى عليك بضعة أسئلة .

نمت ملامح الفتاة عن شىء من القلق مشوبا بالفضول . وقال بوارو وهو ينحنى :

ــ اشكرك يا سيدتى . أريد أن استجوب الآنسة فورا ، وافضل أن أراها على انفراد ، اذا سمحت .

صحبتنا مسز تود الى غرفة استقبال صغيرة ثم انصرفت على مضض ظاهر . وبدأ بوارو استجوابه فقال :

ــ اعلمى يا آنسة ان كل ما ستدلين به سيكون له أهمية كبرى . وأنت وحدك فى مقدورك القاء الضوء على هذه القضية ؛ ومن غير مساعدتك لن أستطيع شيئا .

زال القلق عن وجه آنى وازداد فضولها وقالت :

ــ طبعا يا سيدى ، سأذكر لك كل ما أعرف .

قال بوارو وهو يبتسم فى ارتياح : حسن جدا .أول كل شىء ما رأيك فى كل هذا . انت فتاة ذكية جدا وهذا واضح لكل ذى عينين . ما رأيك فى اختفاء اليزا .

شجعها قوله هذا فاندفعت تقول على الفور : انها تجارة الرقيق الأبيض يا سيدى ... كنت أقول هذا دائما . كانت اليزا تحذرنى دائما من هذا الأمر ، فكانت

تنصحني قائلة لا تشمى أى عطر يقدمه لك رجل غريب ولا تقبلى حلوى حتى ولو بدا الشخص الذى يقدمها لك مهذبا ظريفا . هذا ما كانت تنصحنى به وهاهى الآن تقع بين أيدى هذه الطغمة . ولاريب انها الآن فى الطريق الى تركيا أو الى احدى بلاد الشرق ، حيث يفضلون النساء البدينات .

احتفظ بوارو بوقاره وقال :

ـــ الواقع ان هذا احتمال ممكن . ولكن اذا كان هذا قد حدث حقا فلماذا أرسلت من يأخذ حقيبتها ؟

ـــ لا أدرى يا سيدى . كان لابد لها من ثيابها حتى فى تلك البلاد البعيدة .

ـــ من الذى جاء ليأخذ حقيبتها ؟ . . . أهو رجل ؟

ـــ انه كارتر بيترسون يا سيدى .

ـــ وهل انت التى وضعت ملابسها فى الحقيبة ؟

ـــ كلا يا سيدى . كانت الحقيبة معدة ومحزومة بحبل .

ـــ آه . هذا أمر هام يدل على أنها عندما غادرت المنزل يوم الأربعاء لم يكن فى نيتها أن تعود . . . فهل توافقين على ذلك ؟

بدا الاضطراب على آنى لحظة ثم قالت : ـــ كلا يا سيدى . . . لم يخطر لى ذلك أبدا .

واردفت تقول فى لهجة مليئة بالأمل . ولكن لعل تجار الرقيق هم الذين اختطفوها يا سيدى .

قال بوارو فى جد : لا شك فى ذلك .

واستطرد : هل كانت تقيم معك فى نفس الغرفة التى تقيمين فيها ؟

ـــ كلا يا سيدى . ان لكل منا غرفة خاصة .

ـــ ألم يحدث أن قالت لك انها مستاءة من وظيفتها ؟

هل كانت راضية بعملها هنا ؟

ــ انها لم تبد رغبتها فى الرحيل أبدا . ان الوظيفة طيبة و ... ترددت الفتاة قليلا فقال يستحثها :

ــ لا تخشى شيئا ... لن أذكر أى شىء لسيدتك .

ــ حسنا . ان سيدتى امرأة غريبة الأطوار ، ولكن الطعام شهى وهى تسخو فى تقديمه لنا . واذا كانت اليزا قد أرادت أن تذهب الى مكان آخر فاننى واثقة انها ماكانت لتغادر المنزل بهذه الطريقة ولتغيبت حتى آخر الشهر . ان بمقدور سيدتى أن تمنع عنها مرتب الشهر بعد أن أقدمت على هذا الأمر .

ــ والعمل ؟ ... أهو شاق ؟

ــ حسنا ... ان السيدة والحق يقال امرأة مخبولة. انها تدس أنفها فى كل وقت فى كل مكان لكى ترى اذا كان هناك غبار . ثم هناك ذلك المستأجر أو الضيف الذى يدفع كما تحب هى أن تدعوه ؛ ولكنه لا يتناول غير وجبتى الافطار والعشاء كما يفعل سيدى ، فهما يقضيان طوال النهار فى لندن .

ــ انك تحبين سيدك طبعا ؟

ــ لا بأس به ... هادىء جدا ، وليس بخيلا .

ــ أظنك لا تذكرين آخر كلمات اليزا قبل مغادرتها المنزل ؟

ــ بل أذكرها جيدا ، فقد قالت : اذا تبقى شىء من مربى الخوخ بعد الغداء فيمكن تناوله فى العشـــاء ، وسأقوم بتحمير بعض البطاطس مع اللحم .. كانت تعبد مربى الخــوخ . ولا يدهشـــنى اذا كانوا قد استمالوها بهذه الطريقة .

ــ هل كان يوم الأربعاء يوم أجازتها عادة ؟

ــ نعم . كانت تخـــرج كل يوم أربعـــاء . أما أنا

فأجازتي يوم الخميس .

القى بوارو عليهـــا بضعة أســـئلة أخرى ثم عبر لها عن رضاه . وصرفها وهنا أقبلت مسز تود على الفور وعيناها تبرقان فضولا : وقد أحسســـت انها امتعضت جدا لاخراجها من الغرفة أثناء استجوابنا لأني . ورأى بوارو أن يضع شيئا من البلسم على الجرح الذى أصابها فى كرامتها فقال :

ـــ ان من العسير على امرأة ذكية مثلك يا سيدتى أن تحتمل الوســـائل المصرحة التى نلجأ اليها نحن المخبرون السريون ، ومن المتعـــذر أن يتجمل المـــرء الذكي بالصبر اذا ما تعامل مع الحمقى والأغبياء .

واذ خففت من مشاعر مسز تود بهذا القول انتقل الى الحديث عن زوجها وعلم منها انه يعمل باحـــدى الشركات بلندن وانه لا يعود الى بيته قبل السادسة مســـاء .

ـــ لاريب انه منزعج وشديد القلق بســـبب هذه القضية الغريبة ، أليس كذلك ؟

أجابت مسز تود : هو ؟ ... ليس هناك ما يزعجه على الاطلاق . لم يزد على انه قال : ابحثى لك عن طاهية اخرى غيرها . انه شديد الهدوء بحيث يثير أعصابى فى أغلب الأحيان وقد قال : انها امرأة جاحدة ... الى حيث ألقت .

ـــ والمستأجرون الآخرون يا سيدتى ؟

ـــ هل تعنى مسز سيمبسون ؟ ... ضيفنا الذى يدفع أجر اقامته ؟ ... اوه طالما هو يتناول افطاره وعشاءه فانه لا يهتم بشىء آخر ...

ـــ وما هى مهنته يا سيدتى ؟

ـــ انه يعمل فى أحد البنوك .

وذكرت لنا اسم البنك وما كادت تفعل حتى أجفلت فقد عاد الى ذهنى عنوان جريدة الديلى ديسباتس .
وسألها بوارو :
ــ هل هو شاب فى مقتبل العمر ؟
ــ أظن انه فى الثامنة والعشرين من عمره ، وهو شاب رقيق وهادىء جدا .
ــ أود أن اقول له كلمة ، ولزوجك أيضا . ساعود هذه الليلة اذا استطعت ، وانصحك أن تستريحى وتستجمى قليلا يا سيدتى فاننى أراك متعبة جدا .
ــ هذا صحيح ، فقد استبد بى القلق بخصوص اليزا . ثم اننى ذهبت واشتريت أشياء كثيرة أمس ولا شك انك تعرف معنى هذا يا مستر بوارو فقد اصبح من المتعذر الحصول على الضروريات ، ثم أن المنزل يحتاج الى مجهود شاق ، لأن آنى لا تستطيع طبعا أن تقوم بكل شىء واخشى أن تفارقنى هى الاخرى بعد كل ما حدث . اننى متعبة جدا .
تمتم بوارو ببضع كلمات يعبر بها عن عطفه ثم انصرفنا معا . وقلت :
ــ انها مناسبة غريبة ! ولكن ذلك الموظف الهارب كان يعمل فى نفس البنك الذى يعمل به سيمبسون . أتظن ان هناك علاقة ما ؟ .
ابتسم بوارو وقال : موظف هارب من ناحيــة ، وطاهية مختفية من ناحية اخرى . من العسير أن تجد علاقة بين الأمرين ما لم يكن دافيس قد قام بزيارة سمبسون وهام بالطاهية واقنعها على الهرب معه .
رحت أضحك ولكن بوارو احتفظ بهــدوئه وقال معاتبا :
ــ كان فى مقدوره أن يفعل أكثر من هذا . تذكر

يا هاستنجز انك اذا فكرت يوما فى أن تعتزل فى مكان ما ، فان الطاهية الخبيرة تستطيع أن ترفه عنك أكثر من أية فتاة جميلة .

وامسك لحظة ثم قال : هذه قضية غريبة مملوءة بالمتناقضات . انها تثير اهتمامى ... نعم تثير اهتمامى كثيرا .

وفى نفس الليلة عدنا الى البيت رقم ٨٨ بشـــارع البرنس البيرت وتبادلنا الحديث مع تود وسمبسون . كان الأول رجلا كئيبا فى الأربعين من عمره ، وقال فى غموض :

ـــ اوه ، نعم . اليزا ... نعم ... أعتقد انهـــا طاهية قديرة تميل الى الاقتصاد ، وأنا أحب الاقتصاد كثيرا .

ـــ هل ترى سببا لرحيلها هكذا فجأة ؟

تمتم مستر بوارو : اوه .. . انك تعرف الخدم . ان زوجتى قلقة وتعيش على أعصابها مع أن المسألة بسيطة جدا ، فقد قلت لها أن تبحث عن غيرها . هذا كل ما يمكننا عمله ، فليس هنـــاك أية جدوى من الشكوى والنواح .

ولم يقدم لنا مستر سمبسون معونة تذكر فقد كان شابا بادى الخجل يضع عوينات على وجهه وقال :

أظن اننى رأيتها ... واعتقد انها امرأة متقدمة فى السن . أما الخادمة التى أراها كثيرا فهى آنى . وهى فتاة مهذبة وظريفة جدا .

ـــ هل كانت المرأتان متفقتين ؟

لم يكن سمبسون واثقا وأجاب بأنه يظن ذلك .

وقال بوارو وهو يغادر البيت : ـــ حسنا . اننا لم نعرف شيئا هاما يا صديقى .

وكانت مسز تود قد أخرت انصرافنا شيئا ما بثرثرتها ، وكانت قد أعادت على أسماعنا كل ماسبق أن ذكرته لنا ولكن فى اسهاب . قلت لبوارو :

ــ هل خاب ظنك ؟ ... أكنت تنتظر أن تعرف شيئا ؟

هز بوارو رأسه وقال : كان هذا محتملا ولكننى لم أتوقع شيئا أبدا .

وكان الحدث الذى وقع بعد ذلك رسالة استلمها بوارو فى صباح اليوم التالى ما كاد يقرأها حتى اضطرم وجهه سخطا وناولها لى ، وكان هذا نصها :

« تأسف مسز تود أن تخبر مستر بوارو انها لم تعد بحاجة الى خدماته ، فقد ناقشت الموضوع مع زوجها وانتهت الى نتيجة هى انه من المضحك أن تستخدم مخبرا سريا فى مسألة منزلية لا أكثر . ومسز تود ترفق برسالتها هذه شيكا بمبلغ جنيه مقابل الاستشارة . .

صاح بوارو فى صوت غاضب : آه ... آه ... وتعتقد أنه يمكنها أن تتخلص من هركيول بوارو هكذا؟ ... اننى أسدى لها خدمة ، وخدمة جليلة بأن اهتم بقضية تافهة فتتخلص منى بهذه الصورة ! اظن أن مستر تود هو الذى نصحها بذلك ؛ ولكننى لن أقبل... لن أقبل أبدا . سأنفق من مالى الخاص اذا اقتضى الأمر لكى أجلو سر هذه القضية .

قلت : وكيف ذلك ؟

هدأ بوارو قليلا وقال : سنبدأ بأن ننشر اعلانا فى الجرائد ... انتظر ... نعم ... من هذا القبيل :

اذا اتصلت اليزا دان بالعنوان المذكور فى هذا الاعلان فسوف تعرف شيئا فيه ربح لها .

وأردف يقول : أما أنا فسأقوم بتحريات بسيطة من ناحيتى . يجب أن أنصرف بأسرع ما يمكن .

ولم أره بعد ذلك الا فى المساء . وقد تنازل عندئذ فذكر لى ما فعله فقال :

— ذهبت وتحريت عن الشركة التى يعمل بها مستر تود . انه لم يتغيب يوم الأربعاء ويتمتع هناك بسمعة طيبة . هذا من ناحيته . أما مستر سمبسون فقد كان مريضا يوم الخميس ولم يذهب الى البنك . ولكنه كان موجودا يوم الأربعاء ، ولم تكن تربطه بدانيس صلة وثيقة . ولا شىء غريب فى كل هذا . كلا ... أظن انه يجب أن نعلق آمالنا على الاعلان .

وظهر الاعلان كما هو متوقع فى أهم الصحف اليومية . وطبقا لتعليمات بوارو كان من المتفق عليه أن يستمر صدوره لمدة اسبوع كامل . وكان الاهتمام الذى أبداه فى هذه القضية العادية التى عرفت باسم قضية الطاهية المختفية اهتماما غريبا . ولكننى أدركت أن حرصه على كرامته هو الذى جعله يواظب على نشر هذا الاعلان الى أن يأتى بنتيجة ما . وقد عرضت عليه قضايا كثيرة هامة فى تلك الأثناء ولكنه رفضها جميعها ... وكان يسرع فى كل صباح الى رسائله ويفحصها فى لهفة ثم يتركها وهو يتنهد .

وكوفئنا على صبرنا فى النهاية ، ففى يوم الأربعاء التالى لزيارة مسز تود لنا أتتنا صاحبة المنزل وقالت أن امرأة اسمها اليزا دان تريد أن تلتقى بنا وصاح بوارو على الفور :

— أخيرا .. دعيها تدخل .. حالا .. حالا ... أسرعى ..

وأسرعت صاحبة البيت بالخروج وهى فى دهشة

ثم عادت بعد لحظة تتبعها اليزا دان . وكانت أوصاف هذه الأخيرة مطابقة للأوصاف التى ذكرتها لنا مسز تود تماما . طويلة القامة ورزينة جدا . وقالت :

أتيت ردا على الاعلان . خطر لى انه لابد أن هناك خطأ ما لعلك لا تعرف أننى تسلمت ميراثى ؟

نظر بوارو اليها فاحصا فى عناية شديدة ثم قدم لها مقعدا وقال :

ــ الواقع أن مخدومتك مسز تود كانت شديدة القلق عليك . كانت تخشى أن يكون قد وقع لك حادث ..

بدا عليها الذهول وقالت : اذا فهى لم تتسلم رسالتى ؟

قال بوارو : انها لم تتسلم شيئا منك .

وأمسك لحظة ثم استطرد فى اقتناع : ألا تريدين أن تذكرى لى القصة كلها ؟

لم تكن اليزا بحاجة الى تشجيع لأنها اندفعت تقول على الفور :

ــ كنت عائدة الى البيت مساء يوم الأربعاء عندما استوقفنى رجل له لحية قصيرة ويلبس قبعة كبيرة وسألنى : « الست أنت مس اليزا دان ؟ » ولما أجبته بالايجاب قال : « اننى استفسرت عنك فى البيت رقم ٨٨ فقيل لى اننى قد التقى بك فى الطريق .. مس دان اننى قادم من استراليا لكى التقى بك بالذات .هل تعرفين اسم جدتك لأمك قبل أن تتزوج » . فقلت له: « نعم . اسمها جين ايموت » فقال : « تماما ولكن أظنك لا تعرفين أن جدتك كانت صديقة حميمة

لروزالين ليتس ، وقد سافرت هـذه الأخيرة الى استراليا وتزوجت هنا برجل ثرى ؛ ومات ولداها وهما صغيران فورثت كل أملاك زوجها . وقد ماتت هى منذ بضعة شهور وأوصت لك ببيت فى انجلترا وبمبلغ كبير من المــال » .

واستطردت اليزا تقول : وقد صعقت عند سماعى هذا النبأ . وانتابتنى الشكوك ولكن يبدو انه الحظ ذلك لأنه ابتسم وقال :

ـــ ها هى أوراق اعتمادى .

وأعطانى رســالة صــادرة من مكتب للمحــاماة بملبورن باسم هرست وكروتشيت . وبطاقة .·. تثبت أنه هو مستر كروتشيت وقد أردف يقول :

ـــ « ولكن هناك ثمة شروط ، فان عمليتنا كانت غريبة الأطوار كما تعرفين وهنـــاك نص فى الوصية يشترط أن تستولى على البيت غدا قبل الظهر ، وهو يقع فى كمبرلاند . أما الشرط الثانى فلا أهمية له تقريبا فهو ينص على انه يجب أن لا يكون مهنتك هى الخدمة» واتسعت عينـــاى وقلت « أوه يا مســـتر كروتشيت ولكننى أعمل طاهية . ألم يخبروك بذلك فى البيت ؟» فقال : يا الهى ! .. يا الهى ! .. لم أكن أعرف ذلك .. خطر لى انك ربما تكونين وصيفة أو مدبرة للبيت .. هذا أمر محزن .. محزن جدا فى الواقع » .

وسألته فى شىء من القلق : هل سأفقد كل هذه الثروة ؟

وفكر لحظة ثم قال أخيرا : « هناك وسيلة للتحايل على القانون دائما يا مس دان . ونحن المحـــامون نعرف ذلك جيدا . ان الوسيلة الوحيدة للخروج من

هذا المأزق هو أن تتولى أنك تركت مهنتك بعد ظهر اليوم بالذات » . فقلت له : « ولكن يجب أن أخبر مخدومتى قبل أن أتركها بشهر » . فقال : أى عزيزتى مس دان .. يمكنك أن تتركى العمل فى أى وقت تشائين اذا أنت تنازلت عن مرتبك ، وستقدر مخدومتك موقفك اذا ما عرفت ظروفك ولكن الصعوبة أمامنا الان هي عنصر الوقت . لابد أن تستقلى قطار الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة من محطة كنجز كروس . وأستطيع أن أقرضك عشرة جنيهات لهذه الرحلة ، وفى المحطة يمكنك أن تكتبى كلمة لمخدومتك وسأذهب أنا بنفسى لكى أسلمها لها ، وسأذكر لها الظروف التى مررت بها » . وقد قبلت ما عرضه على طبعا . وبعد ساعة كنت فى القطار وكنت شديدة الانفعال بحيث لم أدرك حقيقة ما وقع لى . والواقع أننى عندما وصلت الى كمبرلاند كنت أعتقد أننى وقعت ضحية مؤامرة من تلك التى تنشر الجرائد أنباءها . ولكننى ذهبت الى العنوان الذى ذكره لى وكان عنوان محام حقا وهناك وجدت كل شيء على ما يرام .. بيت صغير جميل ودخل مقداره ثلاثمائة جنيه فى السنة . ولكن ذلك المحامى لم يكن يعرف الشيء الكثير فقد جاءته رسالة من شخص ما فى لندن يوصيه فيها بأن يسلمنى البيت ومائة وخمسين جنيها عن الشهور الستة الأولى . وقد أرسل لى مستر كروتشيت حاجياتى ولكن لم يأتنى شيء من مخدومتى ، وقد حسبت أنها غير راضية عنى وأنها تحسدنى لحسن حظى . وقد أرسلت الى حاجياتى ملفوفة فى بعض الجرائد ولكن اذا كانت لم تتسلم رسالتى حقا فلا شك أنها تسيء الظن بى » .

أصغى بوارو اليها فى اهتمام . وعندما فرغت أحنى راسه فى ارتياح شديد وقال :
ـ شكرا لك يا مسز دان . لقد وقع خطأ بسيط كما تظنين . اسمحى لى أن أقدم لك تعويضا عن ازعاجى لك .
وناولها مظروفا وهو يقول : هل تعودين الى كمبرولاند فورا ؟ لى نصيحة لك هى أن لا تنسى طرق الطهى اذ يجب أن يجد المرء مخرجا دائما اذا ما ساءت الأمور .

* * *

وتمتم يقول بعد انصراف مسز دان :
ـ انها امرأة ساذجة ، ولكن لعلها ليست أكثر سذاجة من غيرها .
وأردف يقول وقد اتسم وجهه بامارات الجد :
تعال يا هاستنجز . لا يجب أن نضيع أى وقت . استدعى سيارة أجرة ريثما أكتب أنا كلمة للمفتش جاب
ووجدت بوارو فى انتظارى بباب البيت عندما عدت بسيارة الأجرة فسألته : اين نذهب ؟
ـ سأرسل هذه الكلمة أولا مع رسول خاص .
وبعد أن فرغ بوارو من ذلك عاد الى السيارة وذكر للسائق عنوان البيت رقم ٨٨ بشارع البرنس البيرت بكلابهام .
ـ نحن ذاهبان هناك اذن ؟
ـ نعم . وان كنت أعتقد صراحة اننا سنصل متأخرين . لا ريب أن عصفورنا قد طار يا هاستنجز ،
ـ ومن هو عصفورنا هذا ؟

ابتسم بوارو وقال :

ـــ مستر سمبسون بالطبع .

ـــ ماذا ؟

ـــ لا تقل لى انك لم تفهم ؟

أجبت فى استياء : اننى فهمت أنهم تخلصوا من الطاهية ، ولكننى لا أفهم لماذا أراد سمبسون أن يبعدها عن البيت . هل تعرف شيئا عنه ؟

ـــ أبدا .

ـــ اذن ؟

ـــ كان يريد شيئا تمتلكه هى .

ـــ هل تعنى الثروة ؟ .. ذلك الميراث الذى جاءها من استراليا ؟

ـــ كلا يا صديقى .. أبدا .

وأمسك لحظة ثم قال فى خطورة : بل حقيبة معدنية قديمة .

نظرت اليه نظرة جانبية وقد أذهلنى رده وخيل لى انه يتهكم على . ولكنه كان مجدا كل الجد فقلت :

ـــ ولكن كان فى مقدوره أن يشترى حقيبة لو أنه أراد ذلك حقا .

ـــ لم يكن يريد حقيبة جديدة .. بل كان يريد حقيبة قديمة .. لا تثير الشك .

صحت : اصغ الى يا بوارو .. انك تتمادى فى مزاحك .

نظر الى فى هدوء وقال : انك تفتقر الى عقل وخيال مستر سمبسون يا هاستنجز . اصغ الى . لقد استمال مستر سمبسون الطاهية يوم الأربعاء الماضى واوقعها فى الفخ .. بطاقة مطبوعة باسم مستعار ورسالة مكتوبة وعلى رأسها عنوان باستراليا ليس

من السهل التحايل والحصول عليها . وهو مستعد لأن يدفع مائة وخمسين جنيها وايجار بيت لمدة سنة لكى يضمن نجاح خطته . ومس دان لا تعرفه ، بعد أن تنكر وظهر لها بلحيته القصيرة وقبعة ولهجته الاسترالية .. هذا ما حدث يوم الأربعاء تقريبا ، فيما عدا شيء آخر هو أن مستر سمبسون اختلس خمسين الف جنيه من البنك فى ذلك اليوم .

* * *

— سمبسون ؟ .. ولكن دانيس هو الذى اختلس المبلغ .

— هلا أصغيت الى يا هاستنجز ؟ .. ان مستر سمبسون يعلم ان السرقة سينكشف أمرها بعد ظهر يوم الخميس ، ولهذا لا يذهب الى البنك فى ذلك اليوم ولكنه يترتب مستر دافيس الذي يخرج لتناول الغداء. ومن المحتمل انه اعترف له بأنه اختلس المبلغ وأنه أبدى استعداده لكى يسلمه له . ومهما يكن من أمر فانه أفلح فى اقناع دافيس بأن يرافقه الى كلابهام . وكانت الخادمة قد خرجت وذهبت مسز توم لابتياع حاجياتها من السوق . واذا ما اكتشفت السرقة واختفى دافيس فى نفس الوقت فان الأمر الواقع لابد أن يفرض نفسه ولابد أن يعتقد أولى الأمر أن دافيس هو المجرم . ولن يكون هناك ما يمكن أن يخشاه مستر سمبسون ويمكنه أن يعود للعمل فى صباح اليوم التالى .. كأى موظف شريف أمام أعين الجميع .

— ودافيس ؟

اتي بوارو بحركة ذات مغزى ثم هز رأسه وقال :
هذا أمر يبدو من العسير تصديقه ومع ذلك فلا يمكن ان يكون هناك حل آخر غيره يا صديقى . ان الصعوبة الكبرى التى يواجهها القاتل هى كيف يخفى جثة ضحيته . ولكن سمبسون توقع كل شىء . وقد ذكرت اليزا شيئا أثار دهشتى فقد قالت أنه كان فى نيتها أن تعود الى مخدومتها فى تلك الليلة والدليل على ذلك اشارتها الى مربى الخوخ . ولكن حقيبتها كانت معدة عندما اقبل كارتر لكى يأخذها . وقد طلب سمبسون من كارتر باترسون أن يذهب الى البيت يوم الجمعة لكى يأتيه بها . وسمبسون هو الذى حزم الحقيبة بالحبل بعد ظهر يوم الخميس . من كان يمكن أن يشك فى أى شىء ؟ خادمة تترك العمل وتبعث برسول لكى يأخذ حقيبتها . وقد وضع عليها بطاقة وارسلها باسمها الى احدى المحطات القريبة من لندن . وبعد ظهر يوم السبت يذهب سمبسون وهو متنكر فى هيئة استرالى الى المحطة ويأخذ الحقيبة ويضع عليها بطاقة اخرى ويرسلها الى مكان آخر حيث تنتظر أن تأتى صاحبتها لاستردادها . وعندما يشتبه المسئولون فى أمر الحقيبة أخيرا ويفتحونها يكون كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات هو أن رجلا له لحية قصيرة قد أرسلها من محطة قريبة من لندن . ولن يستطيع أحد أن يربط بين الجريمة وبين ساكن البيت رقم ٨٨ بشارع البيرت .. آه . ها نحن قد وصلنا .

كانت استنتاجات بوارو صحيحة فقد غادر سمبسون البيت قبل ذلك بيومين ولكنه لم يفلت من

عواقب جريمة بفضل اللاسلكى تم العثور عليه على الباخرة أوليمبيا ، وكانت فى طريقها الى أمريكا .

وجذبت حقيبة معدنية مرسلة الى مستر هيزى ونترجرين اهتمام موظفى السكة الحديدية بمحطة جلاسجو . وعندما فتحوها وجدوا بها جثة داقيس المسكين .

ولم يقبض بوارو قيمة الشيك الذى أرسلته له مسز تود بمبلغ جنيه وانما وضعه فى اطار علقة لصق حائط غرفة الاستقبال وهو يقول :

ــ ان منظره سينعش ذاكرتى دائما يا هاستنجز . لا يجب أبدا أن نزدرى الأمور لمظهرها العادى التافه . خادمة تختفى .. وكان السبب جريمة بشعة .. كانت هذه القضية من أهم القضايا التى أضطلعت بها .

الدميـــة

كانت ملقـــاة فوق فوتيـــل من المخمل فى غرفة الصالون حيث تضرب عتمة خفيفة بسبب ضوء سماء لندن الملبدة بالغيوم . وكانت اغطية الأثاثات الخضراء والستائر والسجاجيد متناسقة الألوان فى ذلك الضوء الخافت . وكانت الدمية هى الأخرى ، بثوبها المخملى الأخضر وقبعتها من ذات اللون ووجهها الذى تعلوه الأصباغ ، لا تبدو وكأنها تشبه لعبة من تلك اللعب التى يلهو بها الأطفال ولكنها كانت ترمز الى نزوات النساء الثريات ، الى زينة لا فائدة منهـــا ، بجوار التليفون أو بين وســـائد الأرائك . وكانت ملقاة فى وضع من وهنت قواه ، جامدة لا تتحرك . ومع ذلك فقد كانت تبدو كما لو كانت تتقد بالحياة وكان يمكن أن تكون مثلا مجسما لانحلال القرن العشرين .

ودخلت سيبل فوكس مسرعة وبيدها بعض البتروتات والرسومات ورأت الدميـــة فأجفلت . وتساءلت .. ولكن توقف تساؤلها عند هذا الحد لأنها لم تلبث أن سألت نفسها « أين ذهبت عينة القطيفة الزرقاء ؟ .. وماذا تراني فعلت بها ؟ .. انى واثقة اننى تركتها هنا .. » وخرجت الى البسطة وصاحت وهى ترفع رأسها نحو الورشة :

— اليزابيث .. اليزابيث .. هل العينة الزرقاء معك ؟ .. ستأتى مسز فيلو براون ما بين دقيقة وأخرى .

وعادت الى الغرفة وأدارت مفتاح النور . ومن جديد لفتت الدمية نظرها فهمست تقول : « أين ذهبت بحق الشيطان ؟ .. آه .. ها هى » والتقطت العينة ، وكانت قد أفلتت من بين يديها عندما دخلت وسمعت صريرا مألوفا عند البسطة عرفت منه أن المصعد قد توقف وما هى الا لحظات حتى دخلت مسز فيلو براون ، ومعها كلبها الصغير ، وهى تلهث بشدة وكأنها قاطرة على وشك التحرك من محطة صغيرة .

وقالت : ستمطر السماء .. سينهمر المطر كالسيل

وخلعت قفازها ومعطفها ، ثم أقبلت اليسياكومب خلفها ، ولم تكن هذه الأخيرة لتزعج نفسها وتنتقل الا من أجل العميلات ذوات الشأن . وكانت مسز فيلو براون من بين هؤلاء .

وهبطت اليزابيث ، كبيرة العاملات من الورشة . ومعها الثوب المطلوب فأخذته تجربه سيبل غوكس وساعدت مسز فيلو بران على تجربته وقالت :

— انه يناسبك تماما ولونه جميل جدا .

وجلست اليسياكومب فى مقعدها وراحت تنظر الى الثوب فاحصة مدققة ثم قالت :

— نعم .. لا أظن أنه ينقصه شىء .

جولت مسز فيلو براون وجهها ونظرت الى صورتها الجانبية فى المرآة وقالت :

— يجب أن أعترف أن فساتينك تقلل من بروز أردافى .

ـ قالت سيبل : ولكنك ازددت نحافة عما كنت منذ ثلاثة شهور .

ـ كلا للأسف ، ومع ذلك فيجب أن أعترف أن هذا الفستان يجعلنى أبدو كذلك ، ان تفصيلك رائع ويخفى عيوب الجنبين ... وهى العيوب التى يجب اخفاؤه بصفة خاصة .

وتنهدت ومرت بيدها بحركة رقيقة على جانبيهـا وأردفت :

ـ طالما اثارت هذه النقطة جزعى وارتياعى . وطبعا أفلحت طوال الوقت فى اخفاء هذا العيب بأن أرغم صدرى ، ولكننى لم أعد أستطيع الغش منذ أن تمددت معدتى . ولا يمكننى اخفاء الاثنين فى وقت واحد .

قالت اليسيا كومنب فى لباقة :

ـ آه لو ترين بعض عميلاتى !

واستمرت مسز فيلو براون تفحص نفسها وهى تقول :

ـ من رأيى أن الكرش الكبير أكثر ايلاما للمرأة من ردفين بارزين ، ولعل مرجع ذلك الى أن المرأة حين تتكلم مع شخص فانه لايلحظ منها ظهرها ، وقد قررت الآن أن أضغط كرشى وأترك ردفى كما هما .

ومدت رقبتها جانبا وصاحت فجأة :

ـ اوه ... هذه الدمية ! .. لشد ما أفزعتنى .

وبدت الحيرة على هذه الأخيرة وأجابت :

ـ لا أدرى بالتدقيق . ان ذاكرتى أصبحت تخوننى الآن ، وهذا أمر فظيع ... لم أعد أستطيع أن أتذكر ... منذ متى وهذه الدمية هنا يا سيبل ؟

ـ لا أعرف .

عادت مسز فيلو براون تقول :

ـــ انها على كل حال تثير الرعب ويقشعر لها جسدى . اذ تبدو وكأنها تراقبنا ... بل انه ليخيل لى انها تضحك فى سرها ، وهذا امر مزعج . لو اننى مكانك لتخلصت منها .

وسرت فى بدنها رعشة خفيفة ولكنها لم تلبث أن عادت الى الاهتمام بفستانها ... ألا يجب أن يقصر الكم سنتيمترا واحدا ؟ ... والبطانة ؟ ... وعندما سويت هذه النقاط الهامة ارتدت ثيابها وتأهبت للانصراف . وفيما هى تمر أمام المقعد الكبير حولت رأسها وقالت :

ـــ يقينا اننى لا أحب هذه الدمية . انها تبدو وكأنها تنتمى الى الديكور ... وهذا أمر غير سليم .

وقالت سيبل فوكس بعد انصراف العميلة :

ـــ ماذا تقصد بقولها هذا ؟

وقبل أن تتمكن أليس كومب من الرد ظهرت مسز فيلو بروان من جديد وقالت :

ـــ اننى نسيت فورلنج تماما ... أين أنت يا عزيزى ؟ ... اوه ، عجبا !

وتجمدت فى مكانها مشدوهة . كما ارتسمت الدهشة على المرأتين الاخرتين ، فقد كان الكلب الصغير يجلس على قائمتيه الخلفيتين عند أسفل المقعد المخملى الأخضر وراح يتأمل الدمية . ولم يبد على رأسه الصغير المنفوش ما ينم عن أى شىء ... ان سرورا أو استياءا ... كان يكتفى بالنظر لا غير .

ـــ تعال حالا يا عزيزى .

ولكن العزيز الصغير لم يعر تدليلها أى اهتمام ، فراحت تقول :

ــ انه يزداد تمردا من يوم لآخر . تعـــال حالا يافورلنج ... انظر ان مامى معها قطعة من السكر .
حول فورلنج رأســه الى سيدته فى ازدراء ثم عاد يركز اهتمامه فى الدمية . وقالت العميلة :
ــ يقينا انها أحدثت فيه تأثيرا كبيرا . ولكن يبدو لى انه لم يهتم بها فى زياراتى السابقة . وانا كذلك ؛ لم أهتم بها قبل اليوم . أكانت هنا فى المرة الأخيرة التى أتيت فيها ؟
تبادلت المرأتان النظر وبدا الارتباك على سيبل فى حين قالت اليسيا كومب وهى مقطبة الجبين :
ــ ألم اقل لك ؟ ... اننى لا أتذكر شـــيئا هذه الأيام . منذ متى وهذه الدمية هنا يا سيبل ؟
وقالت مسز فيلو براون :
ــ من أين أتت ؟ ... هل اشتريتها ؟
ــ اوه ، كلا .
وبدا كان هذه الفكرة قد صدمت شعور اليسيا كومب وأردفت تقول :
ــ كلا ... يخيل الى أن بعضهم أعطاها لى . هذا أمر يدعو للاسف ، فما أن يمر أى حدث حتى أنساه .
تحولت مسز فيلو براون الى كلبها وقالت :
ــ دعك من حماقتك هذه يا فورلينج ... سأضطر أن احملك .
وحملته فعلا ، وأطلق الكلب صـــيحة احتجاج . وغادر الغرفة وعينـــا فورلينج الجاحظتين ما تزالان تحدقان ، من فوق كتفى صـــاحبته ، الى الدمية فى انبهار .

* * *

قالت مسز جرونز التى تقوم بالخدمة :
ـ هذه الدمية اللعينة لا تروق لى أبدا .
وكانت قد فرغت لتوها من كنس الغـرفة .وراحت تنفض الغبار عن المفروشات بالمنفضة . وأردفت تقول بعد لحظة :
ـ هذا غريب . ولكننى لم أفطن الى وجودها لأول مرة الا أمس فقط ، وقد تملكنى انفعال شديد عندما رأيتها .
سألتها سيبل :
ـ ألا تحبينها ؟
ـ انها تخيفنى . اذا أردت رأيى فانها ليسـت طبيعية بساقيها الطويلتين وبوضعها الغريب على هذا الفوتيل وبهذا التعبير الخبيث فى عينيها ... ان الأمر غير سليم .
ـ ولكنك لم تذكرى عنها شيئا أبدا قبل اليوم .
ـ ذلك اننى لم أرها الا أمس . اننى أعلم طبعا انها هنا منذ وقت لا بأس به ولكن ...
وهزت رأسها فى قوة وأردفت :
ـ انها تذكرنى بالكابوس .
حدقت سيبل فى الدمية ، وشيئا فشيئا ارتسم على وجهها تعبير يدل على الدهشة والذهول . ودخلت اليسيا كومب فى هذه اللحظة فأجفلت سيبل وقالت :
ـ مس كومب ... منذ متى وأنت تملكين هذه المخلوقة ؟
ـ ماذا ؟ ... الدمية ؟ ... ولكنك تعرفين تماما ياعزيزتى أن من المستحيل أن اتذكر اى شيء . وأمس بالذات كان على أن اذهب لسماع محاضرة ولكننى لم اقطع فى الشارع أكثر من عشرين خطوة حتى كنت قد

نسيت تماما الغرض من خروجي . وقد فكرت كثيرا وأخيرا حسبت انني يجب أن أذهب الى محل فورتنو أمس لشراء شيء ما .

ولك أن لا تصدقيني اذا أردت ، ولكنني لم أتذكر أمر المحاضرة الا في وقت متأخر من الليل . وأنا أعلم أن الانسان حين تتقدم به السن تضعف ذاكرته ومع ذلك فقد أصابتني هذه الأعراض من قبل الأوان ... وهاأنذا قد نسيت الآن أين وضعت حقيبتي ... ونظاراتي ... ولكن اين النظارات ؟ ... انني كنت أستخدمها منذ لحظات في قراءة مقال في التايمز .

ــ انها فوق الموقد . هل أنت واثقة انك لا تتذكرين كيف أتت هذه الدمية هنا ؟

هزت اليسيا رأسها وقالت :

ــ يخيل لي أن شخصا ما أعطانيها أو أرسلها لي . ومهما يكن من أمر فهي متناسقة مع الديكور ، أليس كذلك ؟

ــ بل انها متناسقة معه أكثر من اللازم . ولكن من المؤكد حقا انني ، من ناحيتي ، لا أستطيع أن أتذكر متى رأيتها لأول مرة .

ــ عجبا ! ... أراك تتكلمين مثلي ، مع انك مازلت صغيرة جدا لكي تفقدي الذاكرة .

ــ ومع ذلك فانني حين نظرت اليها أمس قلت لنفسي ان هناك شيئا ما ... لعمري ، ان مسز جروفز على حق . فان لهذه الدمية جانبا مخيفا ، وقد خطر لي انه سبق ان أحسست بهذا الاحساس ، ولكن من العسير على أن أتذكر متى ، ان الأمر يبدو كما لو أنني وعيت وجودها فجأة بعد أن احتلت هذا المقعد الكبير منذ شهور .

ـ لعلها دخلت من النافذة راكبة مكنسة ! يجب أن أقول انها أصبحت الآن قطعة من الأثاث ، فانه ليتعذر على الآن أن أتصور الغرفة بدونها ، أليس كذلك ؟

قالت سيبل وقد سرت فى بدنها رعشة خفيفة :

ـ هذا صحيح . ومع ذلك فقد كنت أتمنى لو أن الأمر لم يكن بمثل هذا الوضوح .

ـ هل ستشغلنا هذه الدمية وتلح علينا جميعا ؟ ... ما الغرابة فيها ؟ انها بالنسبة لى أشبه بكرمبة جوفاء، ولكن لعلها تبدو لى كذلك لأننى لم اخلع نظاراتى .

ولبست نظاراتها وحدقت فى الدمية مليا ثم قالت:

ـ نعم . اننى أرى ما تعنين يا سيبل ... انها مخيفة بعض الشىء ... انها تبدو حزينة ومع ذلك ... تبدو خبيثة وماكرة .

ـ أدهشنى ان مسز فيلو براون كرهتها .

ـ ان الناس يحسون أحيانا بالكراهية فجأة .

ـ لعل الدمية لم توجد هنا الا منذ أمس ، ولعلها دخلت من النافذة كما تقولين .

ـ كلا . اننى واثقة أنها هنا منذ وقت ما ، ولكننا لم نحس بوجودها الا أمس .

ـ نعم . هذا هو احساسى أنا الأخرى .

ـ لنكف عن هذه الثرثرة قبل أن تأخذ دورا جديا . انه لمن المضحك أن ننسب قوة خارقة لهذه الدمية الجامدة .

وأخذت الدمية وهزتها وعدلت من وضع كميها قليلا ثم أجلستها فى مقعد آخر . وسرعان ما انزلقت وتراخت فى وضعها ... واستطردت سيليا !

ـ انها جامدة فى الظاهر ومع ذلك فانها تبدو لى

كما لو كانت حية ... الا ترين ذلك يا سيدى ؟

كانت مسز جروفز تلهث وهى تدخل غرفة مس كومب وبيدها منفضتها :

ـــ اوه ... انها أدخلت الرعب فى قلبى . اننى لا أجرؤ الآن على دخول صالون البروفات .

رفعت مس كومب عينيها عن دفتر الحسابات وقالت:

ـــ ما الذى أخافك كل هذا الخوف ؟

وأدرفت تقول تخاطب نفسها أكثر مما تخاطب مس جروفس :

ـــ ان تلك المرأة تتصور انها تستطيع الحصول كل سنة على فستانين للسهرة وثلاثة للكوكتيل وتايير دون أن تدفع لى مليما واحــدا . حقــا ان عقلية بعض العميلات ...

وقالت مسز جروفس مترددة :

ـــ انها هذه الدمية .

ـــ ماذا ؟ ... الدمية مرة أخرى !

ـــ انها جالسة أمام المكتب كما لو كانت من البشر . يا الهى ! انها أثرت فى تأثيرا غريبا .

ـــ عم تتكلمين ؟

ونهضت اليسيا كومب واجتازت البسطة وفتحت باب صالون البروفات أمام المكتب الصغير الذى يقع فى ركن من الصالون رأت الدمية جالسة معتدلة باسطة ذراعيها الطويلين فوق سطح المكتب .

قالت مس كومب : ان بعضهم يحاول أن يلهو بهذه الدمية . من الذى خطر له أن يجلسها هكذا ؟ ... انها تكاد تبدو طبيعية .

وأقبلت سيبل غوكس من الورشة ومعها فستان

جديد يجب أن تجربه احدى العميلات هذا الصباح .
فبادرتها مس كومب قائلة :
ـ تعالى وانظرى يا سيبل . ان دميتنا جالسة أمام المكتب منهمكة فى كتابة رسائلها . هذا أمر سخيف حقا ... اننى لأتساءل من الذى أجلسها هكذا ... أهى أنت ؟
ـ كلا . لاريب فى أن احدى العاملات هى التى فعلت ذلك .
ـ هذه دعابة سمجة .
وأخذت اليسيا الدمية ووضعتها على الأريكة .
وألقت سيبل الفستان فوق أحد المقاعد وعادت الى الورشة حيث قالت :
ـ انكم تعرفون جميعا الدمية ذات الثوب المخملى الموجودة فى صالون البروفات ...
رفعت الرئيسة وعاملاتها رؤوسهن وأجبن معا :
ـ نعم يا سيدتى ... بكل تأكيد .
ـ من منكن أجلستها أمام المكتب هذا الصباح ؟
صاحت اليزابت :
ـ أمام المكتب ؟ ... لست أنا .
وصاحت عاملة أخرى :
ـ ولا أنا . أهى أنت يا مادلين ؟
هزت مادلين رأسها وقالت فى خبث :
ـ هذا ما تفعلينه فى الخفاء يا اليزابت .
ـ كلا بالتأكيد . ان لدى أشياء أخرى غير اللّهو بالدمية .
قالت سيبل فوكس فى انفعال :
ـ هذه دعابة ... لا بأس بها ... ولكننى أحب أن أعرف من الذى قام بها .

قالت العاملات الثلاث محتجات :
ـــ اننا نؤكد لك اننا لم نفعل شيئا من ذلك يا مس فوكس .
وعادت اليزابث تقول :
ـــ ولا أنا . ولكن لماذا كل هذه الضجة بسبب دمية يا مس فوكس .
ـــ ان الأمر غريب لا أكثر .
ـــ لعلها مسز جروفس .
ـــ هذا محال ، فانيا تخاف كل الخوف من دخول صالون البروفات .

قالت الرئيسة فجأة :
ـــ يجب أن أذهب واتحقق بنفسى .
ـــ أنها ليست أمام المكتب الآن ، فان مس كومب نقلتها فوق الأريكة . ولكن من الثابت أن شخصا مالمس هذه الدمية ، وليس هناك من سبب لكى يرفض هذا الشخص أن يعترف بذلك .
ـــ اننا أكدنا لك مرتين أننا لم نلمسها يا مس فوكس ، ولا داعى لأن تتهمينا بالكذب . ان أيا منا لا تفكر فى القيام بمثل هذه الدعابة .
ـــ معذرة ، لم أشأ أهانتكن . ومع ذلك فلا أرى من غيركن استطاع أن يفعل هذا .
قالت مادلين وهى تغالب الضحك :
ـــ لعلها انتقلت وحدها الى المكتب .
جزت سيبل على شفتها السفلى فى استياء وقالت :
ـــ يكفى ما أضعناه من وقت فى هذه القصة السخيفة .
واستدارت على عقبيها وعادت الى صالون

البروفات حيث وجدت اليسيا كومب تدندن بلحن مرح وهى تفحص أوراقها فقالت لها :

ـــ آه ... اننى أضعت نظاراتى مرة أخرى ياسيبل ان عيب من كان قصير النظر مثلى هو انه حين يفقد نظاراته الثمينة لا يستطيع أن يجدها الا اذا لبس نظارات اخرى لكى يستطيع أن يبحث عنها ... فاننى لا أرى شيئا على بعد خطوتين .

ـــ سأبحث لك عنها ... انها كانت معك منذ لحظات .

ـــ عندما صعدت انت الى الورشة ذهبت الى حجرتى واظن اننى تركتها هناك .

ومضت الى الغرفة الأخرى وهى تقول :

ـــ يجب أن افرغ من حساباتى ، وبدون نظاراتى لن أستطيع شيئا .

ـــ هل تريدين أن اذهب الى غرفتك وآتيك بالنظارات الاخرى التى تحتفظين بها هناك على سبيل الاحتياط؟

ـــ لم تعد هناك نظارات أخرى .

ـــ ماذا تقولين ؟

ـــ الواقع اننى فقدتها أمس فى ساعة تناول الغذاء، وقد اتصلت بالمطعم ، وكذلك بالمحلين اللذين قصدتهما أمس ولكن عبثا .

ـــ ستكونين اذن بحاجة الى زوج ثالث من النظارات

ـــ اوه ، كلا ، والا فسأقضى بقية حياتى فى البحث عن الواحدة أو الاخرى . من الأفضل الا يكون لدى الا زوج واحد وان ابحث عنه حتى أجده .

ـــ اذا كنت لم تنتقلى الا الى هاتين الغرفتين فسيكون من السهل العثور عليها .

وتفحصت الغرفة الخاصة لمس كومب ثم صالون

البروفات . واذ أعياها البحث رفعت الدمية من مكانها فوق الأريكة وصاحت تقول :

ـ ها هى !

ـ أين كانت يا سيبل ؟

ـ تحت دميتنا العزيزة . لاريب انك وضعتها فوق الأريكة قبل أن تعيدى الدمية اليها .

ـ اننى واثقة اننى لم افعل ذلك .

صاحت سيبل فى استياء :

ـ اذا صح هذا فان هذه الدمية هى التى أخفتها تحتها .

ـ اذا أمعنت التفكير فان هذا لا يدهشنى . انها تبدو ذكية جدا ، أليس كذلك ؟

ـ ان رأيها لا يروق لى ... انها تبدو كما لو انها تعرف شيئا لا نعرفه نحن .

قالت مس كومب بغير اقتناع كبير :

ـ ان لها نظرة حلوة وحزينة .

ـ لا أظن أنها حلوة اطلاقا .

ـ لعلك على حق . هلمى بنا نعود لمزاولة عملنا . ان الليدى لى ستأتى بعد دقائق وأريد أن أحرر بعض الفواتير قبل ذلك .

* * *

ـ مسز فوكس ! مسز فوكس ! ..

ـ نعم يا مرجريت ... ما الخبر ؟ ...

كانت سيبل منهمكة فى قص قطعة من القماش الساتان فوق منضدتها ، فقالت :

ـ اوه يا مسز فوكس ... انها هذه الدمية مرة أخرى . لقد نزلت بفستان الليدى لى فوجدت دميتك

جالسة أمام المكتب . ولست أنا التى وضعتها هناك ، ولا اى واحدة منا . صدقينى يا مسز فوكس اننا لم نفعل شيئا من ذلك .

اختلجت يد مسز فوكس بالمقص الذى كانت تمسك به وقالت :

ـــ اوه ... انظرى ماذا فعلت بى ... ولكن لم تعد هناك حيلة ... قولى لى ما الذى حدث .

ـــ وجدت الدمية جالسة أمام المكتب فى صالون البروفات .

هبطت سيبل ووجدت أن الدمية عادت مرة أخرى لتجلس فى المكان الذى ذكرته الخادمة ، فأخذتها وهزتها فى عنف قائلة :

ـــ أنت عنيدة جدا .

ثم أعادتها فوق الأريكة وهى تقول :

ـــ ان مكانك هنا فلا تتحركى منه .

ثم ذهبت الى مخدومتها وخاطبتها قائلة :

ـــ مس كومب !

ـــ نعم يا سيبل .

ـــ أعتقد ان بعضهم يلهو على حسابنا . ان الدمية كانت جالسة مرة اخرى أمام المكتب .

ـــ ومن الذى يفعل ذلك فى رأيك ؟

ـــ احدى العاملات الثلاث من غير شك . لا ريب فى انها تجد فى ذلك غرابة . ولكنهن يقسمن جميعا انهن بريئات .

ـــ الا يمكن أن تكون مرجريت ؟

ـــ لا أظن ذلك ، فقد كانت شاحبة جدا عندما عادت من صالون البروفات ... يحتمل أن تكون تلك الرعناء مارلين .

ـــ لقد أصبحت هذه اللعبة مملة على كل حال .

ـــ اننى أشاركك هذا الرأى .

وأردفت تقول فى لهجة قاسية : يجب أن أضع حدا لهذه الدعابة .

ـــ وكيف ذلك .

ـــ سترين .

وفى تلك الليلة أغلقت سيبل باب صالون البروفات بالمفتاح قبل أن تنصرف وقالت :

ـــ وسأحتفظ بالمفتاح معى زيادة فى الحرص .

بدا الطرب على مس كومب وقالت :

ـــ اذن فأنت تعتقدين اننى قد أكون الفاعلة ؟

هل تحسبين اننى من الرعونة بحيث اذهب الى مكتبى وفى نيتى ان أكتب ولكنى بدلا من ذلك أخذ الدمية وأجلسها أمام المكتب على أمل أن تقوم بعملى نيابة عنى ثم أنسى الأمر بعد ذلك تماما ؟

ـــ الحق ان هذا محتمل . مهما يكن من أمر فاننى أريد أن اتأكد هذه الليلة من أن أحدا لن يتمكن من أن يلهو بنا خفية .

وما أن جاءت سيبل فى صباح اليوم التالى حتى فتحت باب صالون البروفات تحت بصر مسز جروفس الغاضبة ، وكانت تنتظرها على البسطة ومكنستها ومنفضتها بين يديها .

ومدت سيبل عنقها وما كادت تفعل حتى ارتدت الى الخلف على الفور ... لقد عادت الدمية واتخذت مكانها أمام المكتب .

وصاحت الخادمة خلفها وهى تلهث :

ـــ عجبا !.. هذا غير ممكن ... ماذا بك يامسز

فوكس . انك شاحبة جدا . انت فى حاجة لمنشط ، هل تحتفظ مس كومب ببعض الخمر لديها ؟

ــ ليس لى شىء .

وتقدمت سيبل فأخذت الدمية ونقلتها فى عناية الى آخر الغرفة فى حين قالت الخادمة :

ــ هل أراد أحد أن يمزح معك مرة أخرى يا مسز فوكس ؟

ــ لا أفهم كيف يمكنه أن يفعل ذلك ، فقد أغلقت الباب بالمفتاح بنفسى أمس . وقد تحققت أنت نفسك من أن أحدا لايستطيع الدخول .

ــ لعل هناك مفتاحا آخر .

ــ لا أظن ذلك . لم يسبق أن أغلقنا هذه الغرفة أبدا ، والمفتاح من نوع قديم لا يوجد مثيل له .

ــ لعل مفتاح صالون مس كومب يفتح هذا الباب .

وجربت المرأتان كل مفاتيح الغرف الأخرى ولكن أيا منها لم يفلح فى قفل الباب .

وفيما بعد ، وبينما كانت سيبل ومس كومب تتناولان الغداء معا ، تناقشتا فى الموضوع وقالت سيبل :

ــ اننى أجد هذه الظاهرة غريبة جدا .

ــ انه لأمر غير عادى يا عزيزتى ، وأرى أنه يجب أن نخطر قسم الأبحاث النفسية . ربما أرسلوا لنا وسيطا لكى يكشف عما اذا كانت هذه الغرفة تسكنها روح شريرة .

ــ ولكن لا يبدو عليك أى انزعاج أو اضطراب .

ــ اعترف ان المغامرة ، من ناحية ، تروق لى ، ففى مثل سنى هذه أجد أن كل حادث غريب يطربنى . ومع ذلك ... فاننى فى قرارة نفسى أعترف اننى لا أحب

التطور الذى اتخذته أحداث هذه القصة . ان دميتنا تتجاوز الحدود قليلا .

وفى تلك الليلة أوصدت سيبل واليسيا كومب الباب معا وقالت سيبل :

ـــ اننى مازلت أعتقد ان احدى العــــاملات تلهو بأعصابنا ، وان كنت لا أدرى لماذا .

ـــ هل تظنين اننا سنجد الدمية صباح الغد جالسة أمام المكتب من جديد ؟

ـــ اذا أردت الصراحة فنعم .

ولكن سيبل أخطأت ، ففى صباح اليوم التالى لم تكن الدمية جالسة فى مكانها الجديد وانما كانت منحنية فوق حافة النافذة تتطلع الى الشارع والى ما يجرى فيه . ومرة أخرى كان فى وضعها على هذا النحو شىء طبيعى غريب .

وبعدا الغداء ، بينما كانت المرأتان تستريحان لحظة وتستمتعان بفنجانين من الشاى ، قالت مس كومب فى لهفة :

ـــ ان هذه المسألة أصبحت سخيفة حقا .

وكانتا قد اتفقتا فيما بينهما على أن يستريحا فى مكتب المديرة بدلا من صالون البروفات كما هى عادتهما .

ـــ سخيفة ؟ ... وكيف ذلك ؟

ـــ حسنا ... ألا ترين انها لا تستند الا على دمية تغير مكانها باستمرار ؟

وفى الأيام التالية أصبحت المسألة أكثر وضوحا . لم تكن الدمية تغير مكانها أثناء الليل فحسب وانما فى كل لحظة ... فعندما كانت الحائكات يمضـــين الى صالون البروفات حتى بعد غياب قصير كن يجدنها فى وضع جديد . كانت تنتقل من الأريكة الى المقعد ثم الى

النافذة ، وأحيانا كانت تحتل المقعد الكبير وأحيانا أخرى كانت تجلس أمام المكتب .

وبعد ظهر أحد الأيام تأملت سيبل فوكس والمديرة الدمية الملقاة فوق الأريكة . وقالت مس كومب :

ــ انها تغير مكانها كما يحلو لها الآن ، ويخامرنى احساس يا سيبل بأن هذا الأمر يطربها كثيرا . ومع ذلك فهى لا تعدو أن تكون بضع خرق من المخمل الباهت وبضع لمسات بالفرشاة لتحديد معالم الوجه .

ولكن كان فى صوتها رنة من القلق وهى تنطق بهذا القول ، وأردفت تقول :

ــ أظن اننا نستطيع أن نتخلص منها ؟

واستطردت تقول على الفور عندما رأت ما ارتسم فى عينى سيبل من دهشة :

ــ لو أن لدينا نارا لاستطعنا أن نحرقها ... كما يحرقون الساحرات ... وهناك صندوق القمامة طبعا ....

ــ كلا ، فقد يلتقطها بعضهم ويعيدها الينا .

ــ وماذا لو أرسلناها الى احدى تلك الجمعيات التى تطلب الملابس والأشياء القديمة لبيعها واستثمار ثمنها فى عمل الخير ؟ أظن أن هذا يكون أفضل حل .

ــ لا أدرى ... انه يكاد يخيفنى .

ــ يخيفك ؟

ــ أظن انها ستعود الى هنا .

ــ هنا ؟

ــ نعم ؟

ــ كما يفعل الحمام الزاجل ؟

ــ تقريبا .

ـــ أترينتا مسنا خبل ؟ ... لعلنى أصبحت ضعيفة العقل تماما وتحاولين مداعبتى ؟

ـــ كلا . ولكننى اشعر بخوف شديد ويخيل لى ان هذه الدمية أقوى منا .

ـــ ماذا ؟ هذه الكتلة من الخرق ؟

ـــ انها عنيدة جدا وتتصرف كما يحلو لها ... ان هذه الغرفة أصبحت ملكا لها الآن .

ـــ هذا صحيح ، ويجب أن أعترف بانها تنسجم مع المفروشات الموجودة بها . أو لعل من الأحرى أن أقول أن الديكور هو الذى ينسجم معها . انه لمن المضحك جدا أن تحتل دمية المكان بهذه الصورة . هل تعرفين أن مسز جروفس أصبحت ترفض دخول هذه الغرفة لتنظيفها ؟

ـــ هل قالت لك انها تخشى وجود الدمية ؟

ـــ كلا . انها تختلق اية حجة دائما .

ثم أردفت تقول بلهجة يشوبها القلق :

ـــ ماذا تفعل يا سيبل ؟ ... ان هذه المسألة أربكتنى الى حد اننى لم أرسم ولا موديل منذ أسابيع .

واعترفت سيبل قائلة :

ـــ وانا الأخرى لا أستطيع التركيز على باتروناتى اننى لا انفك ارتكب الغلطات الشنيعة . لعل فكرتك فى الكتابة الى معهد نفسانى ليست بالأمر السيىء على كل حال .

ـــ لن يكون لهذا أية نتيجة الا تعريضنا للسخرية. لم اكن جادة عندما قلت ذلك . كلا . أظن انه لابد لنا من احتمال الموقف حتى ...

ـــ حتى ...

ـــ اوه ... لا أدرى .

واطلقت ضحكة مليئة بالانفعال .

وفى اليوم التالى وجدت سيبل باب صالون البروفات مقفلا بالمفتاح فقالت :

ـــ مس كومب ... هل أوصدت هذا الباب مساء امس .

ـــ نعم ، وسيظل موصدا .

ـــ وكيف هذا ؟

ـــ سنهجر هذه الغرفة وتستطيع الدمية الاحتفاظ بها . لقد رأيت أن هذا الركن يكفى لكى نجعل منه مكانا للبروفات .

ـــ ولكنها غرفتك الخاصة ؟

ـــ حسنا . اننى لا أريدها . ان لدى غرفة كبيرة استطيع أن أستغلها للمعيشة .

ـــ هل تعنين انك لن تعودى الى صالون البروفات ابدا ؟

ـــ هو ذلك .

ـــ ولكن ... والتنظيف ؟ ... انها ستكون قذرة جـــدا .

ـــ دعيها ... اذا كان ولابد أن تحتلها الدمية فليكن ... اننى أتركها لها وعليها هى أن تهتم بتنظيفها .

واردفت تقول فى تفكير :

ـــ هل تعرفين انها تكرهنا ؟

ـــ الدمية تكرهنا ؟

ـــ ألا تعرفين ذلك ؟ ... لاريب انك لاحظت ذلك وانت تنظرين اليها .

ـــ نعم . أظن اننى أدركت ذلك . بل لعلنى أحسست به بالغريزة . انها ألحت أخيرا فى طردنا من الغرفة .

ـــ انها مخلوق صغير شرير .

ـــ مهما يكن من امر فلا ريب انها مسرورة الآن .
ومنذ ذلك اليوم بدا أن الهدوء قد عاد واستتب كما كان من قبل . وأعلنت اليسيا كومب لعاملاتها انها قررت غلق صالون البروفات وعدم استخدامه بحجة أن البيت واسع جدا وانه يتطلب خدمة وعناية كبيرتين .
ولكن عندما فرغوا من العمل فى ذلك اليوم وهموا باغلاق الأبواب هبطت احدى العاملات وقالت لزميلاتها :
ـــ ان مس كومب أصبحت مخبولة تماما . وطالما كنت دائما أظنها غريبة الأطوار بسبب نسيانها وفقدانها للذاكرة . وقد اصبح الأمر أسوأ الآن فلم يعد يشغل ذهنها شيء غير هذه الدمية .
ـــ أتظنين أن الأمر قد يبلغ بها أن تطعننا بخنجر فى يوم من الأيام ؟
انتصبت مس كومب ساخطة وهى تستعيد ماسمعت: مخبولة ؟ ... أنا ؟ يا للوقاحة ! ... الواقع أنه لولا أن سيبل تفكر مثلى لتساءلت اذا لم أكن قد أصبحت مجنونة حقا ... ثم أن مسز جروفس تفكر مثلنا هى الاخرى ... وددت لو أعرف كيف ستنتهى هذه المسألة .

* * *

بعد ذلك بثلاثة اسابيع قالت سيبل لمخدومتها :
ـــ يجب أن نفتح هذه الغرفة .
ـــ لماذا ؟
ـــ لاريب انها امتلأت بالغبار ، ولن تـ[illegible] العتة أن تغزو أرجاءها . ويمكننا أن ننظفها وان نغير هواءها ثم نغلقها بعد ذلك .

ـــ اننى لأوثر الا اعود اليها أبدا .
ـــ اظن انك اكثر منى خوفا وتطيرا .
ـــ هذا جائز . وعلى الرغم من ان المسألة بدت لى فى البداية ذات طابع طريف فأننى اشعر الآن بالخوف واتمنى الا اضع قدمى ابدا فى هذه الغرفة بعد ذلك .
ـــ أما انا فاننى أريد أن أمضى اليها..والآن حالا .
ـــ ذلك لأنك فضولية .
ـــ اننى معك فى هذا.فاننى أريد ان أرى ماذا فعلت الدمية منذ ان حبسناها .
ـــ مازلت أرى انه من الأوفق ان نتركها فى سلام. الآن وقد تركنا لها الغرفة فاننى أظن انها راضية ، ومن الأفضل أن نحترم ارادتها .
وتنهدت واردفت تقول فى استياء :
ـــ ها أنذا أنطق بالحماقات .
ـــ اذا كنت تعرفين طريقة أكثر ذكاء نستطيع أن نناقش بها الأمر ... هيا ، اعطنى المفتاح .
ـــ حسنا ... حسنا .
ـــ لعلك تخافين أن أدعها تهرب . ومع ذلك فلابد أن لديها القدرة على المرور من خلال الجدران والنوافذ.
وأدارت سيبل المفتاح فى القفل ودفعت الباب وصاحت :
ـــ عجبا !
سألتها اليسيا وهى تهرع اليها :
ـــ ماذا ؟
ـــ انظرى . لا يوجد غبار تقريبا ، ومع ذلك فقد كان من المتوقع بعد أن أغلقنا الغرفة بعد كل هذه المدة ...
ـــ هذا صحيح وانه لأمر غريب حقا .

ــ انظرى اليها .

كانت الدمية فوق الأريكة ، ولكنها لم تكن مستغرقة فى جلستها وانما كانت تجلس معتدلة تسند ظهرها على وسادة كالسيدة التى تتأهب لاستقبال ضيوفها .

وقالت مس كومب :

ــ يبدو أنها على راحتها تماما . ولدى احساس بأنه يجب على أن أعتذر لها لهذا الانزعاج .

ــ هلمى بنا نخرج من هنا .

واغلقت سـيبل الباب بالمفتاح ثم وقفت المرأتان تتبادلان النظر فى حيرة واضطراب .

وقالت المديرة :

ــ أود لو أن أعرف لماذا تخيفنا الى هذا الحد ؟

ــ ومن الذى لا يشعر بنفس الخوف ؟

ــ وعلى الرغم من ذلك فهى ليست اكثر من دمية ... ليست هى التى تنتقل من مكانها وانما روح شريرة هى التى تحركها .

ــ يا لها من فكرة غريبة .

ــ اننى لا أومن بها . اننى أعتقد فى قرارة نفسى بأن الدمية هى التى تتحرك من تلقاء نفسها .

ــ هل أنت واثقة انك لا تعرفين من أين أتت .

ــ كل الثقة . وكلما أفكر فى الأمر كلما تأكدت اننى لم أشترها ، وان ما من أحد أعطانى اياها . أعتقد ... نعم ، أعتقد اننى وجدتها هنا ذات يوم .

ــ هل تعتقدين انها لن تفارقنا أبدا ؟

ــ لا أدرى لماذا تفعل فانه ليخيل الى أن لديها كل ما تريد .

ولكن اتضح ان الدمية لم تكن راضية تماما بالضيعة التى تركوها لها ، ففى صباح اليوم التالى ، عندما

دخلت سيبل فوكس صالون البروفات الجديد رأت شيئا جعلها تطلق صيحة تعجب واندفعت الى الدرج وهى تصيح قائلة :

ـــ مس كومب ... مس كومب ... تعالى انظرى.

وكانت اليسيا كومب قد غادرت فراشها متأخرة فى ذلك اليوم فهبطت الدرج فى حذر بسبب ما كانت تشكو من الروماتيزم ، واقتربت من المرأة الشابة وقالت :

ـــ انك شاحبة جداً يا سيبل فما الخبر ؟

ـــ انظرى .

وتقدمتها الى عتبة صالون البروفات الجديد حيث وقفتا جامدتين . كانت الدمية مستلقاة فى استرخاء فوق الأريكة . وتمتمت المديرة :

ـــ انها خرجت ! ... خرجت من الصالون ... وهى الآن تريد احتلال هذه الحجرة أيضا .

وجلست بجوار الباب وقالت :

ـــ أظن انه يجب أن نترك لها البيت كله فى النهاية.

ـــ هذا جائز .

وصـــاحت : ـــ أيتها المخلوقة الشريرة ... لماذا تعذبيننا هكذا ؟ اننا لا نريدك .

وبدا لها كما بدا لسيبل ان الدمية تحركت وان أطرافها استرخت أكثر من ذى قبل ، كان أحد ذراعيها الطويلين ممددا فى تراخ فوق احد الوسائد ، ووجهها المخضب مائل قليلا الى أسفل ويبدو كما لو كان ينظر الى المرأتين ساخرا .

وقالت اليسيا : يا لها من مخلوقة بشعة ... لن أستطيع احتمالها أكثر من ذلك ... كلا ، كلا .

وهبت واقفة وأمسكت بالدمية وأسرعت الى النافذة

والقت بها فى الشارع . واطلقت سيبل صيحة فزع وقالت :

ـ اوه يا اليسيا ... ما كان يجب أن تفعلى ذلك . اننى واثقة انك أسأت التصرف .

ـ كان لابد من أن أفعل شيئا ... لم أعد أستطيع رؤيتها .

اقتربت سيبل من النافذة بدورها واطلت منها الى الشارع . كانت الدمية قد وقفت فوق الافريز ووجهها الى الأرض .

ـ انك قتلتها .

ـ دعك من هذه الحماقات ... كيف يمكن أن اقتل دمية لا روح لها . انها ليست من البشر .

ـ ومع ذلك فهى تبدو كما لو كانت كذلك .

ـ يا الهى ! ... هذه الطفلة !

ذلك ان طفلة صغيرة ترتدى ثيابا رثة اقتربت من الدمية ورددت البصر حولها متلصصة . كان الوقت مبكرا والشارع لا يزال مقفرا الا من بضع سيارات كانت تنطلق مسرعة . وازدادت الطفلة اقترابا ثم انحنت والتقطت الدمية وعبرت الشارع ركضا . وصاحت اليسيا تناديها ؟

ـ قفى ... قفى ... لا يجب أن تأخذ هذه الطفل الدمية .. لا يجب أن تأخذها ... ان الدمية شديده الخطر ... تسكنها روح شريرة ... يجب أن نمنعها بكل الطرق .

ولكن لم تكن هى التى أوقفت الطفلة عن عدوها وانما

اوقفتها حركة المرور التى تغيرت فجأة فازدحم الشارع بالسيارات التى أرغمت الطفلة على الوقوف فى منتصف الطريق . واسرعت سيبل فهبطت الدرج راكضة تتبعها اليسيا كومب فى مشقة كبيرة . وشقت المرأتان طريقهما بين السيارات وبلغتا المكان الذى تقف فيه الطفلة قبل أن تتمكن هذه الأخيرة من بلوغ الرصيف المقابل ، وقالت اليسيا كومب وهى تلهث :

ــ لا يمكن أن تأخذى هذه الدمية . . . اعيديها الى.

رمتها الطفلة بنظرة حذرة . كانت فى نحو الثامنة من عمرها ، نحيفة وبعينيها حول خفيف .

ــ ولماذا أعيدها اليك ؟ انك القيت بها من النافذة، وقد رأيتك بنفسى . وانها الآن لى .

ــ سأشترى لك دمية أخرى غيرها . تعالى معى الى أحد المحال التى تبيع هدايا الأطفال . سأشترى لك أجمل دمية به ، ولكن أعيدى الى هذه .

ضمت الطفلة الدمية الى صدرها فى قوة وقالت :

ــ كلا .

وحاولت سيبل أن تتدخل قائلة :

ــ يجب أن تعيديها ، فهى ليست لك .

ومدت يدها لكى تأخذ الدمية ولكن الطفلة ضربت الأرض بقدمها وواجهت المرأتين صارخة :

ــ كلا ، كلا ، كلا . انها لى . اننى أحبها . أما أنتما فلا . انكما تمقتانها والا لما القيتما بها من النافذة . أقول لكما اننى أحبها ، وهذا ما تريده هى . . . انها تريد الحب .

وفى خفة ورشاقة مرقت بين السيارات الى الرصيف

المقابل وجرت نحو زقاق حيث اختفت قبل أن تتمكن المرأتان من عمل أى شىء .

وقالت اليسيا :

ــ انها ذهبت .

ــ انها قالت ان الدمية تريد الحب ... ولعل هذا ما كانت تنشده منذ وقت طويل ... كانت تريد أن نحبها .

وفى وسط حركة المرور تبادلت المرأتان النظر فى حيرة .

انتقام البريمادونا

— ١ —

كان ذلك فى لندن ، فى صبيحة أحد أيام مايو ، فى الساعة الحادية عشرة . وكان مستر كوان يطل من نافذة الصالون الفخم بمسكنه بفندق الريتز ، وهو المسكن الذى خصص لمدام بولا نازاركوف ، مطربة الاوبرا المشهورة التى أقبلت الى المدينة وكان مستر كوان ، وكيل أعمالها حاضرا للتشاور معها ، وحول رأسه عندما سمع صوت الباب يفتح ولكن التى دخلت لم تكن غير مس ريد ، سكرتيرة مدام نازاركوف ، وهى فتاة شاحبة حميدة الخصال .

— اوه ، أهى أنت يا عزيزتى ؟ ... ألم تستيقظ المدام بعد .

واذ هزت مس ريد رأسها عاد يقول :

— قالت لى أن آتى فى تمام الساعة العاشرة وانا انتظر منذ ساعة .

ولم ينم صوته عن أى استياء أو دهشة فقد تعود منذ وقت طويل على نزوات الفنانة وهوسها . كان طويل القامة حليق الوجه ، سمينا بعض الشىء ، أنيق الهندام ، شعره أسود فاحم وأسنانه بيضاء ناصعة وكان فى نطقه حرف السين أقرب الى الزأزأة ، ولم يكن المرء بحاجة الى خيال كبير لكى يفهم أن اسم أبيه كان كوهين .

فتح الباب الموجود فى الناحية الأخرى من الغرفة ودخلت فتاة فرنسية ظريفة سألها كوان فى شىء كبير من الأمل :

ــ هل استيقظت المدام ؟ ... ما هى الأخبار اليوم يا اليز ؟

رفعت الفتاة يديها نحو السماء وقالت :

ــ انها حادة المزاج هذا الصباح . لا شىء يروق لها . حتى الزهور الصفراء الجميلة التى أرسلتها أنت اليها مســـاء أمس لم تعجبها وقالت انها انما تليق بنيويورك وانها بشعة المنظر فى لندن . وان الزهور الحمراء هى التى تليق بلندن ، وقد ألقت بها من النافذة فوقعت على راس رجل جنتلمان احتد غضبا ، وله الحق فى ذلك .

رفع كوان حاجبيه ولكن لم تنم ملامحه فى أية دهشة ثم أخرج من جيبه دفترا صغيرا كتب فيه « زهور حمراء » .

وعادت اليز بأسرع مما جاءت ، وعاد كوان الى النافذة . وجلست فيرا ريد أمام المكتب وبدأت تفض الرسائل الواردة . ومضت عشر دقائق فى صمت ثم فتح باب الغرفة فى عنف ودخلت بولا نازاركوف وفجأة بدت الغرفة صغيرة وبدت فيرا ريد امرأة تافهة لا قيمة لها . أما كوان فقد انتظر .

قالت البريما دونا :

ــ آه يا أولادى .. ألست مواظبة فى مواعيدى ؟

كانت طويلة القامة ، بعيدة عن البدانة التى تتسم بها المطربات . ذراعاها وساقاها جميلتان ملفوفتان وعنقها رقيق يدل على اناقة واصالة صاحبته ، شعرها

يلمع ولم يكن هناك أى شك فى أن لمعانه يرجع الى الحناء ولكن تأثيره كان كبيرا على الرغم من ذلك . ومع انها كانت قد بلغت الأربعين فان تقاطيع وجهها كانت لا تزال جميلة ، ولكن كانت تحيط بعينيها السمراوين المعبرتين تجاعيد رقيقة ، لها ضحكة أشبه بضحكة الأطفال وبطن أشبه ببطن النعامة وطباع شيطان مريد .

تحولت الى كوان وسألته :

ــ هل فعلت كما قلت لك ؟ ... هل ألقيت بذلك البيان الانجليزى البشع فى التاميز ؟

أجاب كوان وهو يشير الى بيان فى ركن الغرفة :

ــ نعم . اننى استبدلته بهذا .

أسرعت البريمادونا الى البيان ورفعت غطاءه وصاحت :

ــ اوه ... ماركة ايرارد ! .. نعم ، هذا أفضل . سأجربه .

وارتفع صوتها الساحر الجميل فى نغمات مختلفة عالية ازدادت علوا لم تلبث أن خفتت وضاعت مع العدم وقالت فى حماس ساذج :

ــ آه . ما أجمل صوتى ! ... حتى فى لندن !

أسرع كوان يقول :

ــ هذه هى الحقيقة فى الواقع ، وسوف تركع لندن عن قدميك كنيويورك .

ــ هل تظن ذلك ؟

واذا نظرنا الى الابتسامة الخفيفة التى ارتسمت على شفتيها فقد كان هذا السؤال شكليا لا غير .

ــ انها الحقيقة !

ابتعدت بولا نازاركوف عن البيان ودنت من المكتب وهى تقول :

ـــ والآن الى العمل ... ما هى الالتزامات التى ارتبطت بها ؟

اخرج كوان بعض الأوراق من حافظة ، وكان قد وضعها فوق أحد المقاعد وقال :

ـــ ليس هناك جديد . ستحيين خمس حفلات فى كوفنت جاردن ... ثلاث منها فى دور توسكا واثنتين فى دور عايدة .

ـــ تبا لعايدة هذه ! .. انها لا تروق لى ، أما توسكا فشىء آخر .

ـــ نعم . انك رائعة فى دور توسكا .

ـــ بل أنا أعظم توسكا فى العالم .

ـــ ليس هناك من يضارعك أبدا .

ـــ هل يقوم روسكارى بدور سكاربيا ؟

ـــ نعم . ويقوم ليبى بدور اميل .

صاحت البريمادونا :

ـــ ماذا ؟ ... ليبى ! ... هذا الضفدع البشع ؟ لن أغنى معه والا فسوف أعضه وأخدشه .

قال كوان فى تسامح :

ـــ رويدك ... رويدك .

ـــ أقول لك ان هذا المأفون لا يغنى ... انه يعوى .

ـــ سوف نرى .

كان معتادا على ذلك . وسألته المطربة :

ـــ ومن يقوم بدور كافاردوس ؟

ـــ التينور الأمريكى هنسديل .

ـــ انه فتى لا بأس به ، ثم أنه يجيد الغناء .

ـــ وسيحل بارير محله ذات مساء .

قالت فى كرم كبير :

ــ ان بارير فنان كبير ... ولكن ليبى ... اننى لا اريده . لن أغنى معه .
ــ دعى الأمر لى .
وسعل ، وتناول ورقة أخرى وقال :
ــ وأنا الآن بصدد تدبير حفلة خاصة بقاعة البيرت .
واذ قطبت بولا نازاركوف حاجبيها أسرع يقول :
ــ اننى أعلم ... اننى أعلم ، ولكن هذه هى العادة .
قالت المطربة :
ــ ستكون الحفلات كاملة العدد على كل حال . وسيكون نصيبى من الايراد كبيرا . حسنا .
واستطرد كوان :
ــ واليك الآن شيئا جديدا خاصا ... عرض من الليدى راستنبورى ... تريدك أن تحيى حفلة فى قصرها
ــ راستنبورى .
وقطبت حاجبيها وبدا انها تحاول أن تتذكر :
ــ اننى قرأت هذا الاسم فى مكان ما منذ وقت طويل . أعتقد انه اسم مدينة أو قرية .
ــ بل هو اسم بلدة كبيرة ، والقصر نفسه قديم جدا واقطاعى بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ... بأشباحه ولوحاته وسلالمه السرية ويضم قاعة مسرح كبيرة وتريد الليدى راستنبورى احياء حفلة خاصة تعرض فيها اوبرا بترفلاى .
ــ بتر فلاى ؟
ــ وهى على استعداد لأن تدفع لك ما تريدين ، ولكن يجب تدبير الأمر مع كوفنت جاردن طبعا . ستتقاضين مبلغا خياليا وسيكون فى هذا دعاية طيبة لك .
قالت فى ازدراء كبير :
ــ دعاية ؟ ... لى أنا ؟

اجاب كوان :

ــ زيادة الخير لا تضير .

تمتمت البريمادونا :

ــ راستنبورى ؟ ... أين قرأت هذا الاسم ؟...

واسرعت الى المكتب وتناولت مجلة راحت تقلب صفحاتها ثم توقفت فجأة . وبعد صمت طويل القت بالمجلة على المكتب ثم عادت فى بطء وجلست . كان كل شيء فيها قد تغير ونم عن تعبير صارم قاس .

وقالت :

ــ عليك أن تدبر ذلك . سأغنى ... ولكننى لن اغنى الا توسكا ... لن أقوم بأى دور آخر .

تمتم كوان :

ــ سيكون ذلك عسيرا ... من الصعب نقل مناظر وديكورات توسكا الى مسرح خاص .

ــ قلت توسكا ولا شيء آخر .

بدا الاقتناع على كوان فجأة . ونهض وهو يقول :

ــ حسنا . سأدبر ذلك .

وكانت قد نهضت هى الاخرى ، وبدا أنها تريد تبرير قرارها لأنها قالت :

ــ انه دورى الكبير يا كوان . لم يضارعنى فيه أحد ابدا .

قال كوان :

ــ نعم . لا بأس . لقد أصابت جيرتزافيه نجاحا كبيرا فى العام الماضى .

صاحت وقد اضطرم وجهها سخطا :

ــ جيرتزا !

وصارحته برأيها فيها ولكن كوان كان يعرف طباعها فلم يصغ اليها وقال :

ـــ كل هذا لا يمنع انها فنانة موهوبة ضالعة فى فنهـــا .

قالت بولا نازاركوف :

ـــ اننى افضـــل منها بكثير ... ليس هناك من يضارعنى فى هذا المضمار . اننى أكيف صوتى كما أريد وكما يقتضيه الدور الذى أقوم به كما علمتنى راهبات الدير منذ وقت طويل ... أكيف صوتى فأجعله يبدو كصوت طفل فى الكورس أو كصوت ملاك عادى طاهر ليس فيه أى انفعال .

قال كوان وقد أخذه التأثر :

ـــ اعرف ذلك . انك عظيمة رائعة .

وقالت البريمادونا :

ـــ ان الفنان يجب أن يدفع الثمن فيتألم ويحتمل كل شىء لكى يكتســـب القدرة على الرجوع الى الوراء واستعادة الجمال الضائع فى قلب طفل .

رماها كوان بنظرة غريبة . رأى فى عينيها وميضا غريبا جعله يرتجف وتمتمت ببضـــع كلمات ســـمعها بالكاد :

ـــ أخيرا ... أخيرا ... بعد كل هذه السنين .

ـــ ٢ ـــ

عرفت الليدى راستبورن كيف تجمع بكل نجاح بين الطموح وحب الفن ولم يكن زوجها على غرارها فى هاتين النقطتين فتركها تفعل ما يحلو لها . كان رجلا ضخما أحمر الوجه لا يكترث بشىء فى الدنيا فيما عدا جياده . وقد سره أن يكون من الثراء بحيث يتمكن من تلبية رغبات زوجته ونزواتها . وكانت قاعة المسرح بالقصر قد بنيت فى عهد جده وأصبحت الهوية الخاصة

لليدى راستبورن ، عرضت فيها احدى مسرحيات أمس التى تدور حول الطلاق والمخدرات ومسرحية اخرى كوميدية تدور أحداثهـــا فى كوبا . وقد دعت النخبة الممتازة من الطبقة الراقية الانجليزية لمشـــاهدة أوبرا توسكا بعد أن أقامت لها دعاية كبيرة .

وكانت مدام نازاركوف وفرقتها قد أقبلوا قبيل الغداء وتم الاتفاق على أن يقوم التينور الأمريكى هنسديل بدور كافاردوس أما روسكارى ، الباريتون الايطالى المشهور فقد اتفق على أن يقوم بدور سكاربيا . وكانت النفقات باهظة ولكن أحدا لم يعبأ بذلك . وكانت بولا نازاركوف معتدلة المزاج بادية الغبطة وقد دهش كوان لذلك وتمنى لو أن يستمر الحال على هذا المنوال .

واذ فرغ القوم من تناول الغداء انتقلوا الى المسرح لتفقد المناظر والديكورات . وكان قائد الاوركستر هو صامويل ويدج وهو قائد قدير والغريب أن مستر كوان لم يشعر بأى ارتياح ازاء ذلك فقد كان كل شيء يبدو على ما يرام أكثر من اللازم ، وقال يحدث نفسه :

ــ ليت ذلك يدوم فان سحنة نازاركوف لا تبشر بالخير .

كانت تجربته الطويلة فى دنيا المسرح قد نمت فيه حاسة سادسة لا تخطىء ، والواقع أن اليز الخادمة الفرنسية أسرعت اليه فى الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم وصاحت به .

ــ مستر كوان ... أرجو أن تأتى معى حالا .

سألها كوان فى انزعاج :

ــ ما الخبر ؟ ... هل أتت المدام باحدى نزواتها؟ ... كنت أتوقع ذلك .

ـــ كلا ، كلا يا سيدى ... لم يصدر شىء من سيدتى، وانما هو السنيور روسكارى ... انه مريض ... انه يحتضر .

ـــ آه . انك تبالغين . اذهبى بى اليه .

وتبع الخادمة التى راحت ترتجف من الخوف ، ووجد الايطالى الصغير يتلوى فى فراشه من الألم فى حركات كانت بالحرى تثير الضحك .

وكانت بولا نازاركوف منحنية فوقه . وقد استقبلت كوان أسوأ استقبال فقد بادرته قائلة :

ـــ ها أنت أخيرا ... انهـــا غلطتك أنت . ان روسكارى المسكين يتألم كثيرا . لاريب انه تناول شيئا فاســدا .

وتأوه المريض قائلا :

ـــ اننى سأموت . آه . يا لهذه الآلام ! .. انها فظيعة ... آه .

وتلوى فى فراشه ويداه على بطنه . وقال كوان :

ـــ طبيب ... لأبد من طبيب .

ولكن بولا أوقفته بحركة من يدها قائلة :

ـــ انه فى الطريق وسيبذل قصارى جهده لتهدئة آلام صديقنا المسكين من غير شك . ولكنه لن يستطيع الغناء الليلة .

تأوه الايطالى قائلا :

ـــ لن أستطيع الغناء ... لا الليلة ولا أى ليلة أخرى ... اننى سأموت .

قالت بولا :

ـــ أبدا ... انك تشكو من عسر هضم لا غير . ولكنك لن تستطيع أن تقوم بدورك على خشبة المسرح على كل حال .

ــ لقد دس بعضهم السم لى .

قالت بولا :

ــ بل انك تشكو من تغض فى معدتك من غير شك . ابق بجواره يا اليز الى أن يأتى الطبيب .

وأخذت كوان الى الخارج وسألته قائلة :

ــ ماذا نفعل ؟

هز كوان رأسه . كان الوقت لا يسمح بأن يبعثا بطلب مطرب آخر من لندن لكى يحل محل روسكارى.

وعلمت الليدى راستنبورن بمرض روسكارى فأسرعت اليها ومثلها كمثل بولا نازاركوف لم تفكر الا فى نجاح حفلتها وتأوهت البريمادونا قائلة :

ــ ليس أمامنا من يحل محله .

ولكن الليدى راستنبورن صاحت فجأة وقالت :

ــ آه . تذكرت . . . هناك بريون طبعا .

ــ بريون ؟

ــ نعم . . . ادوارد بريون ، وأظنك تعرفينه جيدا . . . انه ذلك الباريتون الفرنسى المشهور ، وهو يقيم بجوارنا وقد نشرت مجلة كاونترى هاوسس صـــورة لبيته فى العدد الذى صدر هذا الاسبوع . انه الرجل الذى يلزمنا .

صاحت بولا نازاركوف فى ذهول :

ــ ان الســـماء لم تتخل عنا . . . بريون فى دور سكاربيا ! . . . اننى أتذكره جيدا . انه أحسن من قام بهذا الدور ولكنه اعتزل الغناء .

قالت الليدى راستنبورى :

ــ وسأخرجه من عزلته . اعتمدى على .

وما هى الا عشر دقائق حتى كانت قد اقتحمت القصر

الذى يعتزل فيه بريون فان الليدى راستنبورى كانت اذا عقدت النية على أمر ما لا يمكن ان يصرفها عنه اى شيء . وقد أدرك بريون على الفور انه لابد له من الرضوخ لارادتها . وثمة أمر لابد من الاعتراف به وهو انه كان شديد الميل الى النســـاء النبيلات صاحبات الألقاب الرنانة فقد كان هو نفسه من أصل متواضع وقد صعد السلم الاجتماعى درجة درجة وأحس بغبطة كبيرة لمخالطة النبلاء ولكن عزلته فى مثل هذا المكان المفقود فى قلب انجلترا خيب آماله بعض الشيء . لم يكن يفتقر الى تصفيق الجمهور واعجابه به ولكن حز فى نفسه أن القرويين والريفيين لم يقدروه حق قدره وقد جاء عرض الليدى راستنبورى كالبلسم لقلبه المقروح .

قال مبتسما :

ـــ سأبذل جهدى . اننى لم اغن أمام الجمهور منذ وقت طويل ، وكذلك لم أتمرن ولكن فى هـــذه الحالة بالذات ، وازاء مرض السنيور روسكارى المؤسف ...

قالت الليدى راستنبورى :

ـــ انها ضربة قاسية .

وقال بريون :

ـــ مهما يكن فهو ليس بالمطرب الموهوب حقا .

وقضى بضـــع لحظات يحاول أن يبرهن لها على مايقول ، وعلى انه لم يصعد على خشبة المسرح مغن قدير آخر غيره منذ اعتزاله الفن . وقالت الليدى راستنبورى :

ـــ ستقوم مدام نازاركوف بدور توسكا . لاريب أنك تعرفها ؟

أجاب بريون ،

ـــ اننى لا أعرفها شخصيا ولكننى سمعتها تغنى فى

نيويورك . انها فنانة كبيرة وتعرف معنى الدراما .
أحست الليدى راستنبورى بالارتياح . لم تكن تعرف ماذا نفعل مع هؤلاء الفنانين ، فقد كان يسود بينهم جو غريب من العداء والغيرة .
وعادت الى القصر بعد عشرين دقيقة وهى تهز يدها فى زهو وانتصار . وقالت ضاحكة :
ــ انه سيأتى ... كان مسيو بريون رقيقا جدا .. لن أنسى له هذا .
واسرع الجميع حول الفرنسى ، وكانت تحيتهم له وتقديرهم لفنه باسما . وعلى الرغم من أنه كان فى الستين من عمره الا أنه كان لا يزال وسيما وجميلا ، طويل القامة له شخصية جذابة .
وقالت الليدى راستنبورى :
ــ ولكن أين المدام ؟ ... آه ... هاهى .
ولم تكن بولا نازوركوف قد اشتركت فى تحية الفرنسى وانما بقيت جالسة فى مكانها فى هدوء فى ظل الموقد ولم يكن بهذا الأخير أية نار بالطبع فقد كان الجو حارا ، وكانت تمروح لنفسها بمروحة من أوراق الشجر . وكانت متحفظة ، متعالية بحيث أن الليدى راستنبورى خشيت أن يكون قد وقع ما أساءها أو كدرها .
وقادته الى المطربة وهى تقول :
ــ مسيو بريون ... قلت لى انك لم يسبق ان التقيت بمدام نازوركوف .
مروحت المدام بالمروحة مرة اخرى ثم تركتها تسقط من يدها وبسطت أناملها الى الفرنسى فأخذها هذا الأخير وانحنى فوقها . وتنهدت البريمادونا تنهيده خافتة وقال بريون :

ـــ اننا لم نشترك فى الغناء قبل اليوم يا مدام ، وهذا عقابى . ولكن القدر كان سخيا معى فخف الى نجدتى.

ضحكت بولا فى رقة وقالت :

ـــ انك كريم جدا يا مسيو بريون ... اننى جلست عند قدميك وانا لا أزال مغنية صغيرة مغمورة ... انك رائع فى دور ريجوليتو ... دور كله فن وكمال ... لا يمكن لأحد أن يضارعك فيه أبدا .

قال بريون وهو يتنهد :

ـــ وا أسفاه ! .. ان أيامى قد انتهت ... سكاربيا ... ريجوليتو ... راداميس وشاربلس ... طالما غنيت هذه الأدوار ... أما الآن فلا شىء على الاطلاق.

ـــ ولكنك ستغنى الليلة .

ـــ آه ... هذا صحيح يا مدام ... اننى نسيت ... الليلة .

قالت نازوركوف فى عجرفة :

ـــ انك غنيت فى توسكا مع كثيرات غيرى ولكنك لم تغن معى قط .

انحنى الفرنسى وقال فى رقة :

ـــ سيكون ذلك أكبر شرف لى ... فهو دور كبير يا مدام .

وقالت الليدى راستنبورى :

ـــ انه دور لا يتطلب مغنية فحسب ولكنه يتطلب ممثلة قديرة أيضا .

أيدها بريون قائلا :

ـــ هذا صحيح ... اذكر اننى حين كنت شابا كنت فى ايطاليا ودخلت مسرحا فى ميلانو صدفة . وقد كلفنى مقعدى ليرتين فقط ولكننى سمعت فى تلك الليلة مغنية

قديرة كما لو كنت فى مسرح متروبوليتان بنيويورك .
كانت فتاة صغيرة وقد غنت توسكا كما لو كانت ملاكا.
لن انسى صوتها أبدا وهى تغنى « فيسى دارتى » ...
كان صوتها نقيا واضحا وان كان ينقصه القوة .

أومأت نازوركوف وقالت فى هدوء :

— ان القوة تأتى فيما بعد .

— هذا صحيح ... أما الفتاة الصغيرة فكانت تدعى بيانكا كابيللى . وقد اهتممت أنا نفسى بمستقبلها ، وبفضلى أنا شقت طريقها وحصلت على عقود كبيرة. ولكنها كانت من الحماقة ... بكل أسف ...

وهز كتفيه فانبرت بلانش آمرى ، ابنة الليدى راستنبورى ، وهى فتاة فى الرابعة والعشرين من العمر هيفاء القامة ذات عينين زرقاوين واسعتين . وسألته قائلة :

— وكيف ذلك ؟

تحول الفرنسى اليها وأجاب فى لهجة مهذبة :

— مما يؤسف له يا آنسة أنها ورطت نفسها مع شخص حقير ... وضيع من الأشقياء ... وقع فى مشاكل مع رجال البوليس وصدر عليه حكم بالاعدام وجاءتنى وطلبت منى أن أتدخل لكى أنقذه .

حدقت بلانش آمرى فيه وقالت لاهثة :

— وهل فعلت ؟

— أنا يا آنسة ؟ ... وكيف أستطيع ؟ ... وأنا أجنبى عن البلاد ؟

قالت نازوركوف فى صوت خافت ينبض بالحياة :

— أما كان لك نفوذ ؟

— لو اننى كنت على شىء من النفوذ لما استخدمته

بكل تأكيد ، فان الرجل لم يكن ليستحق ذلك ، وقد بذلت كل ما أستطيع للفتاة .

وابتسم ، وخيل للفتاة الانجليزية وهى ترى ابتسامته هذه أنها بغيضة بشكل غريب . وأحست عندئذ بأن ابتسامته هذه تخفى حقيقة شعوره .

قالت نازوركوف :

ـ تقول انك بذلت كل ما استطعت ؟ لقد كان هذا كرما منك . وهل شكرتك ؟

هز الفرنسى كتفيه وقال :

ـ لقد أعدم الرجل . أما الفتاة فدخلت الدير ، وبهذا فقد العالم مطربة قديرة .

ضحكت نازوركوف ضحكة قصيرة وقالت :

ـ أما نحن معشر الروس فقوم متقلبون جدا .

واتفق ان كانت بلانش آمرى تنظر الى كوان فى هذه اللحظة بالذات فرأته نظرة الدهشة التى ارتسمت على وجهه ورأت شفتيه تفترقان كما لو كان يهم بالكلام ولكنه لم يلبث ان أطبقهما من جديد على أثر اشارة تحذير من بولا .

وظهر رئيس الخدم فى هذه اللحظة فقالت الليدى راستنبورى وهى تنهض :

ـ العشاء ... يا لكم من مساكين يا معشر المغنين ... اننى أرثى لكم لانكم تحرمون أنفسكم من الأكل قبل الغناء وهذا شىء فظيع ... ولكن هناك عشاء طيب ينتظركم بعد ذلك .

قالت بولا نازوركوف :

ـ نرجو ذلك .

وأردفت ضاحكة فى رفق :

ـ فيما بعد .

— ٣ —

وفى المسرح ، كان الفصل الأول من توسكا قد انتهى، وانبهر الحاضرون وراحوا يتبادلون الحديث . وكان أعضاء الاسرة المالكة يجلسون على ثلاثة مقاعد من المخمل فى الصف الأول ، وكانوا رقيقو الحاشية . ودار الحديث حولهم فى همس ورقة وأجمع الجميع على أن نازوركوف حافظت على مستواها فى الفصل الأول ، ولكن الغالبية الكبيرة من المدعوين لم يدركوا ان المغنية قد أظهرت فنها وتفوقت على نفسها وجعلت من توسكا فتاة خفيفة طائشة لعوبا تلعب بالحب وتظهر غيرتها وتطلب الكثير . أما بريون ، فعلى الرغم من أن صوته لم يعد فى أوجه فقد قام بدور سكاربيا الساخر على أروع ما يكون ، ولم يكن هناك أى ظل أو أية لمحة من المكر أو الخبث فى تصويره لسكاربيا ، فقد جعل منه شابا جميلا رقيقا فيه لمسة بسيطة من الحقد الذى يكمن فى الظاهر . وقد أظهر بريون فنا كبيرا فى المشهد الأخير وهو واقف ، مع صـوت الأرغن وتسلسل الأحداث يراجع خطته لانقاذ توسكا . ولم تلبث أن رفعت الستار عن الفصل الثانى ، وكان المشهد فى بيت سكاربيا نفسه .

وفى هذه المرة ، ما أن دخلت توسكا حتى أظهرت نازوركوف كل موهبتها على الفور . كانت امرأة مذعورة تقوم بدورها بمقدرة تدل على تفوقها فى التمثيل والغناء معا . وكانت تحيتها لسكاربيا وعدم اكتراثها وردودها الباسمة طبيعية جدا واحسنت بولا نازوركوف فى هذا المشهد استخدام عينيها خير استخدام ، وقامت بدورها بهدوء كبير ووجه باسم جامد ... وراحت عيناها

ترميان سكاربيا بنظرات حادة تنم عن احساساتها ومشاعرها الحقيقية . وهكذا مضت القصة ومشهد العذاب وانهيار توسكا واستسلامها الأخيرعندما سقطت عند قدمى سكاربيا تطلب منه العفو بدون طائل .
واهتزت مشاعر اللورد ليكونمير العجوز ، وهو ذواق كبير للموسيقى ، وتمتم سفير أجنبى يجلس بجواره يقول له :

— ان نازوركوف أبدعت الليلة . لا توجد امرأة أخرى يمكن أن تقوم بهذا الدور على المسرح كما قامت هى به الآن .
وهز ليكو نمير رأسه موافقا .

وذكر سكاربيا ثمنه فريعت توسكا وهرعت الى النافذة ، وأدركت دقات الطبول من بعيد وألقت توسكا بنفسها فوق الأريكة فى اعياء فى حين وقف سكاربيا بجوارها يذكر لها كيف أن قومه ينصبون المشنقة لها ... ثم الصمت . ومن جديد ترتفع دقات الطبول وترقد نازوركوف على الاريكة وقد تدلت رأسها الى أسفل تكاد تلمس الأرض والشعر يغطيها ... ثم تناقض كبير بين الحب والألم طوال الدقائق العشرين الأخيرة ولا يلبث صوتها ان يرتفع واضحا جليا وهى تغنى مأساتها فى صوت رائع أخاذ ساحر النغمات ثم ختمت غنائها وراحت تتوسل حتى اللحظة التى دخل فيها سبوليتا . وعندئذ ترضخ توسكا بالأمر الواقع فى اعياء فينطق سكاربيا بكلماته القدرية ذات المعنى المزدوج . وينصرف سبوليتا مرة أخرى . ثم تأتى اللحظة الحاسمة حين ترفع توسكا كأسا من النبيذ فى يدها المرتشعة وترى الخنجر على المائدة فتخفيه خلف ظهرها .

وينهض بريون ، وسيما ساخرا ، يشتعل حبا وصبابة ويقول : توسكا ، أخيرا أصبحت لى ويومض الخنجر فى نفس اللحظة وتوسكا تردد كلمات الانتقام : هكذا تحب توسكا .

لم يسبق ان اظهرت نازوركوف مثل هذا الابداع فى تمثيل دور الانتقام . وترددت الكلمات الأخيرة التى نطقت بها فى صوت هادىء فى أركان المسرح « اننى الآن أصفح عنه » .

ثم بدأ نشيد الموت وتوسكا تقوم بالطقوس الدينية فتضع الشموع على جانبى راسه والصليب فوق صدره ثم وقفتها الأخيرة بالباب وهى تلقى اليه آخر نظرة مع دقات الطبول البعيدة وهبوط الستارة .

وفى هذه المرة دوى التصفيق بين الحاضرين . ولكن الهتاف كان قصير الأمد فقد أقبل بعضهم من الكوالبس مسرعا وأسر شيئا فى اذن اللورد راستنبورى فنهض هذا الأخير واقفا واستأذن ممن حوله ثم غادر مكانه . ولكنه لم يلبث ان عاد وطلب من سير دونالد كالتروب، وهو طبيب مشهور أن يتبعه . وسرت الحقيقة بين الحاضرين على الفور ، فقد حدث شىء . . . وقع حادث واصيب بعضهم بجرح بالغ . وظن أحد الممثلين أمام الستارة وقال ان مسيو بريون أصيب بحادث مؤسف وان الاوبرا لا يمكن أن تستمر . ومرة اخرى عرف الجميع ان بريون أصيب بطعنة قاتلة وان نازوركوف فقدت رأسها الى حد أنها عاشت الدور الذى مثلته بحيث انها طعنت زميلها فى الغناء . وبينما كان اللورد ليكو نمير يتحدث مع صديقه السفير أحس بلمسة فوق ذراعه فتحول ليرى بلانش آمرى التى أسرعت تقول:

ـــ لم يكن حادثا . أستطيع أن أؤكد لك انه لم يكن

حادثنا . ألم تسمع قبل العشاء تلك القصة التى رواها لنا عن تلك الفتاة الايطالية . . . ان تلك الفتاة هى بولا نازوركوف بنفسها فانها ما كادت تقول انها روسية حتى رأيت الدهشة ترتسم على وجه مستر كوان . فقد كان يعلم تماما انها ايطالية وانها اتخذت اسما روسيا .

قال اللورد ليكو نمير :

ـ أى عزيزتى بلانش .

ـ أقول لك اننى واثقة من ذلك . ان فى مخدعها مجلة مصورة مفتوحة عند الصفحة التى فيها صورة مسيو بريون فى بيته الريفى . كانت تعرف ذلك قبل أن تأتى هنـا . وانى أعتقد أنها أعطت ذلك الرجل الايطالى المسكين شيئا أصابه بالمرض .

صاح اللورد ليكو نمير :

ـ ولكن لماذا ؟ . . . لماذا ؟

ـ الا ترى ؟ . . . أنها قصة توسكا مرة أخرى . . . كان يشتهيها فى ايطاليا ، ولكنا كانت مخلصة لعشيقها، وقد ذهبت تتوسل اليه لكى ينقذ هذا العشيق فوعدها بأنه سيفعل ثم تخلى عنها وتركه يلقى حتفه بعد ذلك . وقد انتقمت منه الليلة بعد كل هذه المدة . هل سمعتها وهى تغنى « أنا توسكا . . . » اننى رأيت انطباعات وجه بريون عندما قالت ذلك . . . انه عرفها . . . نعم، عرفهـا .

ووقفت بولا نازوركوف فى غرفتها لا تتحـرك وقد ألقت حول كتفيها معطفا من الفرو . وطرق البـاب فقالت :

ـ ادخل .

ودخلت اليز ، وكانت تبكى وقالت :

ــ سيدتى ... سيدتى ... انه مات .. انه .

ــ نعـــم ؟

ــ سيدتى ... كيف أستطيع أن أقول لك ؟ ... هناك رجلان من رجال البوليس يريدان التحدث اليك.

نهضت بولا نازوركوف واقفة وقالت فى هدوء :

ــ سأمضى اليهما .

وفكت عقد اللؤلؤ من حول عنقها ووضعته فى يدى الفتاة الفرنسية قائلة :

ــ هذا العقد لك يا اليز . انك كنت فتاة طيبة ... لن أحتاج اليه فى المكان الذى سأمضى اليه ... هل تفهمين يا اليز ؟ ... لن أغنى توسكا ثانية .

ووقفت لحظة بجوار الباب وعيناها تدوران بالغرفة كما لو كانت تنظر للمرة الأخيرة الى الثلاثين عاما التى قضتها فى مهنتها ثم تمتمت بين شفتيها بآخر كلمتين من أوبرا أخرى قائلة :

ــ انتهت المهزلة .

ساحرة القرية

قال الدكتور هايدوك :

ــ حسنا ... كيف حالك الآن ؟

ابتسمت مس ماربل ، وكانت شديدة الشحوب ، وقالت :

ــ يبدو لى ان صحتى قد تحسنت ولكننى أشعر بأعياء شديد ولا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير بأنه كان من الأفضل لو اننى بقيت هنا ، فانا امرأة عجوز ولن يشكو منى أحد ...

قاطعها الدكتور هايدوك وقال برزانته المعهودة :

ــ نعم ، اننى أفهم ... رد الفعل المعتاد بعد الحمى التى مررت بها . ان ما تحتاجين اليه الآن هو شيء يبعد عنك الأفكار السوداء ... منشط نفسانى .

تنهدت مس ماربل وهزت رأسها موافقة واستطرد الدكتور هايدوك قائلا :

ــ وان معى العلاج .

وألقى مظروفا فوق الفراش وقال :

ــ هذا هو العلاج الذى يلزمك تماما ... لغز غامض يعيد اليك نشاطك .

ــ لغز ؟

وبدا الاهتمام على مس ماربل وقال الطبيب وقد اضطرم وجهه قليلا :

ــ هى محاولة أدبية من ناحيتى . حاولت أن أخلق قصة مما يدور من اشاعات وأقاويل ، ولكن الوقائع حقيقية .

سألته مس ماربل :

ــ ولماذا تقول انها لغز غامض .

قطب الدكتور هايدوك حاجبيه وقال :

ــ ذلك لأننى أريد أن تحاولى وضع النهاية . أود أن اعرف اذا كنت ما تزالين على ما تعهـــده فيـــك من مقدرة .

وغادرها على أثر هذه الكلمات .

وأخذت مس ماربل القصة وبدأت قراءتها .

* * *

(بداية قصة الدكتور هايدوك) .

سألت مس هارمون بصوت مرح :

ــ ولكن أين العروس ؟

كانت كل القرية تتلهف لرؤية العروس الجميلة التى أتى بها هارى لاكستون من الخارج . كان الرأى العام قد أجمع على أن هذا الشقى قد وضع يده على الثمرة الرابحة .

كان الجميع يتسامحون مع هارى ، حتى أصحاب الفترينات التى حطمها بنبلته ... كانوا يشفقون عليه أمام سحنته النادمة . حطم الواحا كثيرة ووطأ المزروعات واصطاد فى أملاك الغير ، وفيما بعد استدان وارتبط لدرجة ما مع ابنة موظف البرية ولكنه لم يلبث أن تحلل

من كلمته وسافر الى افريقيا . وقالت نساء القرية عندئذ . وكأنها من العجائز ذوات النوايا الطيبة : اوه ... سوف يعود بعد أن يتعقل .

واليوم ، عاد الفتى المدلل . لم يكن حزينا اطلاقا وانمـــا كان ظافرا منتصرا . لقد حالفه الحظ هارى لاكستون وازداد تعقلا . جد وكد ثم التقى بفتاة تجرى فى عروقهـــا دماء فرنســـية وبريطانية ، وتملك ثروة طائلة . غازلها وطارحها الهوى وتزوجها .

كان فى مقدور هارى أن يعيش فى لندن أو أن يبحث له عن قصر فى منطقة حديثة ولكنه آثر العودة الى حيث يحس انه فى بلده ، وبلغ به الخيال والرومانسية أن اشترى الأرض المهجورة التى تحيط بالقصر الذى قضى فيه طفولته وحداثته .

كان قصر كنسجديل مهجورا منذ ما يقرب من سبعين سنة . وكانت المبانى توشك أن تتداعى وتنهار . وفى الركن الوحيد منه الذى يصلح للاقامة . كان يعيش حارس مسن ومعه زوجته . وكان القصر فسيحا وكئيبا تحيط به الأشجار الميتة والبســاتين التى لم يعد ينمو فيها غير الأعشاب البرية .

أما القصر نفسه فكان جميلا حقا استأجره قبل ذلك بمدة طويلة الميجور لاكستون ، والد هارى ، ولما يزال هذا الأخير طفلا . وقد طاف هارى بأراضي كنجسدين كلها وعرف كل شبر فيها . وقد افتتن بالبيت القديم ايما افتتان ..

كان الميجور لاكستون قد مات منذ سنوات وحسب الأهالى أنه لم يعد هناك ما يربط هارى بالقصر ، ومع ذلك فقد عاد هو وزوجته الى البيت الذى قضى فيه طفولته . وسرعان ما ازيلت الأطلال القديمة للقصر

واقبل جيش من المهندسين والمقاولين وتولوا اعداد الموقع وفى وقت قياسى ، وبفضل المال الوفير اقيم قصر جديد وقف شامخا ببياضه وسط الأشجار .

ثم جاءت فرقة من البستانيين ، وجاءت بعدهم سيارات النقل المحملة بالأثاث والمفروشات .

وتم تجهيز البيت واعداده للسكنى وأقبل الخدم واتخذوا أماكنهم ، وجاءت أخيرا سيارة ليموزين فارهة وقفت أمام البيت وهبط منها هارى وزوجته .

وأراد كل من أهالى القرية أن يكون هو السابق الى دعوتهما ولكن مسز براين ، صاحبة أكبر قصر فى المنطقة التى تعتبر نفسها سيدة القرية ، كانت هى السابقة الى ارسال بطاقات الدعوة للتعرف بالعروس .

وكانت حفلة التعارف حدثا كبيرا . واشترت أكثر سيدات القرية ثيابا جديدة لهذه المناسبة بالذات ، وبلغت اللهفة بكل منهن أقصى درجة . واستولى عليهن الفضول والانفعال لمجرد فكرة رؤيتهن لهذه المخلوقة الخيالية العجيبة . . . فقد كانت قصتها أشبه بقصص الحوريات .

ولم تنقطع مس هارمون ، وهى عانس ترك الزمن آثاره على بشرتها ، تزداد سؤالها وهى تشق طريقها بين الحشد الذى غزا به الصالون . وأسرعت مس برنت ، وهى عانس هى الأخرى ، بارزة عظام الوجه ، حادة الطباع ، اسرعت الى نجدتها قائلة :

ــ اوه ، انها جميلة جدا يا عزيزتى . . . فى مقتبل الشباب ورقيقة الطباع لا يسع من تراها الا أن تغار منها حقا . انها جمعت بين الجمال والمال والأدب . . . ثم انها بعيدة جدا عن الابتذال ، وهذا العزيز هارى لا يرفض لها طلبا .

ـــ وماذا كنت ننتظرين ؟ ... هكذا تجرى الأمور دائما فى البداية .

تحرك أنف مس برنت دليلا على الموافقة وقالت :

ـــ اوه ، هل نعتقدين هذا حقا يا عزيزتى ؟

أجابت مس هاريسون :

ـــ اننا جميعا نعرف من هو هارى .

ـــ بل نعرف كيف كان ... ولكننى أعتقد الآن ...

ـــ حقا ؟ ... ان الرجال الذين يولدون أوغادا لا يتغيرون أبدا ويبقون على طباعهم . اننى أعرفهم جيدا يا عزيزتى .

بدت مس برنت أكثر مرحا فجأة وقالت :

ـــ نعم . يخامرنى احساس بأنها لن تلبث أن تواجه المشاكل مع شاب مثله . لعل من الواجب أن ننذرها . اننى أتساءل اذا كانت قد سمعت عن هذه القصة القديمة التى ...

ـــ ليس من الكياسة اخفاء الحقيقة عنها ... ليس من الكياسة أبدا خصوصا وأنه لا توجد سوى صيدلية واحدة فى القرية .

ويجب أن نذكر أن ابنة موظف البريد تزوجت مستر ايدج الصيدلى .

واستطردت مس برنت تقول :

ـــ من الأوفق بالتأكيد أن يعترف لها بكل شىء .

قالت مس هاريسون :

ـــ هذا اذا لم يكن هارى لاكستون قد أخبرها بالأمر بنفسه .

وتبادلت العانستان نظرة ذات مغزى وقالت احداهما :

ـــ مهما يكن فلابد لها أن تعرف .

* * *

صاحت كلاريس فين :

ـــ انهم متوحشون !

ورمت خالها الدكتور هايدوك بنظرة غاضبة وعادت تقول :

ـــ ما هم الا وحوش .

نظر الدكتور هايدوك اليها فى فضول . كانت فتاة طويلة القامة سمراء جميلة تسرى فى عروقها دماء حارة . ولمعت عيناها الكستانيتان الواسعتان وهى تقـــول :

ـــ كأنهم قطط تلهو بفأرة ! انهم يقولون أشياء . . .

ـــ عن هارى لاكستون ؟

ـــ نعم . وعن العلاقة التى كانت بينه وبين ابنة موظف البريد .

ـــ اوه ، ما أكثر الشباب الذين كانت لهم مثل هذه العلاقات كما تعرفين !

ـــ طبعا . ولكن هذه القصة بالذات قديمة ولا أرى لمـــاذا يصممون على احياء المـــاضى . انهم وحوش متعطشون للدماء .

ـــ هذا ما يبدو لك انت يا عزيزتى ، ومع ذلك فانت تعلمين انه ليس هناك أى شىء آخر يشغلون أنفسهم به غير الفضائح الصغيرة . ولكن لماذا يزعجك هذا الأمر الى هذا الحد .

عضت كلاريس على شفتيها واصطبغ وجهها وقالت فى صوت أجش :

ـــ انهما . . . انهما يبدوان سعيدين جدا . . . أعنى هارى وزوجته . . . انهما فى مقتبل العمر وكل منهما يعشق الآخر والدنيا تفتح ذراعيها لهما . ولا يزعجنى

شيء بقدر ما يزعجنى ان هذه السعادة قد تقوضها الاشاعات والأقاويل البغيضة .

ـــ نعم ... اننى أفهم .

واستطردت كلاريس :

ـــ اننى تحدثت معه منذ قليل وهو سعيد جدا ، يشتعل حماسا وتأثرا . لقد أشبع رغبات قلبه وأعاد بناء كنجسدين ويخيل لمن يراه أنه طفل . أما هى فمن الواضح انه لم ينقصها شيء أبدا وانها حصلت حتى الآن على كل ما تريد وتشتهى . انك رأيتها أنت الآخر، فما رايك فيها .

لم يجب الدكتور هايدوك على الفور . طبعا كان يمكن للويز لاكستون أن تثير غيرة الناس وحسدهم ولكنها بالنسبة له شخصيا كانت تعيد الى ذاكرته تلك الأغنية التى كانت ترددها الألسن منذ بضع سنوات، « يا لها من فتاة ثرية مسكينة » .

فتاة رقيقة هشة ذات شعر أشقر مجدول ووجه بيضاوى وعينين واسعتين زرقاوين متسائلتين .

كانت لويز قد بدأت تحس بالتعب ، فان حفلة التعارف والتهنئة قد أرهقتها وتمنت لو أن ينتهى كل ذلك سريعا ، ترى ... هل يفكر هارى مثلها ؟ ... نظرت ورأت فيه ذلك الشاب الطويل القامة القوى الجسم الوسيم وهو يضطر الى مواجهة مثل هذه الحفلة الشاقة !

« فتاة ثرية مسكينة » .

ـــ اوف !

تحول هارى الى زوجته بادى المرح . استقل أخيرا هو وزوجته سيارتهما وانطلقا بها فى طريق العودة .

وقالت لويز :

ـــ كانت ليلة مرهقة .

راح هارى يضحك ثم قال :

ـــ نعم ، انها ليلة شاقة حقا . ولكن كان لابد منها، أليس كذلك يا عزيزتى ؟ ... كل هؤلاء الساحرات كن يعرفنني وأنا طفل ولو أنهن لم يتعرفن بك لكانت خيبتن كبيرة .

قطبت لويز حاجبيها وقالت :

ـــ هل سنضطر الى استقبالهن ؟

ـــ اوه ، كلا . انهن سيأتين طبعا وسيوجهن اليك الدعوات ولكن ما عليك الا أن تتجاهلين ، فيتركنك فى هدوء . ومهما يكن فانه يمكنك اختيار صديقاتك ، أليس كذلك ؟

سألته بعد لحظة :

ـــ هل فى البلد أناس ظرفاء ؟

ـــ طبعا . كل أهالى القرى المجاورة ، وان كانوا يفتقرون الى الذكاء . ان كل ما يهتمون به هو الزهور والكلاب والجياد . ويمكنك أن تركبى جوادا اذا أردت، فهناك فى اجلنجتون جواد أريدك أن تريه لأنه جواد جميل وأصيل ، مدرب جيدا . وهو أبعد ما يكون عن الشقاوة وان كان جموحا بعض الشىء .

وابطأت السيارة عند المنحنى الذى يؤدى الى قصر كنجسدين . ولكن ما أن خفف هارى من سرعة بعض الفتيات حتى اعترضته مخلوقة غريبة تقف فى وسط الطريق . فأطلق من بين شفتيه وتمكن من مفاداتها . ولم تبد المرأة حركة واحدة ولم تحاول أن تتقهقر واكتفت بأن رفعت قبضتها نحوه متوعدة مهددة .

وتشبثت لويز بذراع زوجها وقالت :

ــ من هذه ... المرأة العجوز البشعة .
قطب هارى حاجبيه وقال :
ــ انها العجوز مرجا تروید ... كانت تقوم بحراسة القصر هى وزوجها وقد أقاما فيه نحو ثلاثين عاما .
ــ ولكن لماذا توعدتنا وهددتنا بقبضتها .
ــ حسنا . لم يرق لها أن أهدم القصر ، مع انى اطردها منه . لقد مات زوجها منذ سنتين ومنذ ذلك الحين وهى تبدو غريبة الأطوار .
ــ ولكن هل لديها ما تقتات منه ؟
كانت للويز آراء ميلودرامية فى بعض الأحيان . والواقع أنه من الصعب على الأثرياء أن يعيشوا فى عالم الواقع . وقال هارى فى دهشة :
ــ يا الهى ! ... ما هذا السؤال يا لويز ؟ ... اننى بالطبع أعطيها أكثر مما تحتاج اليه ، بل اننى أقمت لها بيتا جديدا .
سألته لويز فى حيرة :
ــ ماذا تريد أكثر من هذا اذن ؟
بدا على هارى كأن هناك ما يشغله وأجاب :
ــ ليتنى أعرف ذلك . انها مخبولة تماما . لا شك انها تتحسر على القصر القديم .
ــ ولكنه لم يكن سوى اطلال ، أليس كذلك ؟
ــ نعم . كان موشكا على الانهيار فى أية لحظة . ولكن لعله كان يرمز لشىء عزيز بالنسبة لها ، ولابد أن أعصابها قد خانتها وانهارت .
قالت لويز فى ارتباك :
ــ أخشى أن تلقى علينا سحرا ... او اه ياهارى! ... أرجو أن لا يكون ذلك صحيحا .

* * *

بدا للويز أن تلك المرأة العجوز المتوعدة قد أصبحت تهدد كل حياتها . فاذا ما خرجت بالسيارة أو ركبت جوادها أو تنزهت مع كلابها ، خيل لها انها تراها فى طريقها وقد وضعت على رأسها قبعة بالية تغطى بها شعرها الأبيض وتستنزل عليها اللعنات .

وانتهى الأمر بلويز الى أنها اعتقدت أن هارى على حق ، وان المرأة العجوز مخبولة حقا . على أن ذلك جعلها تفقد هدوءها فان مسز مرجاترويد وان كانت لم تدخل فى نطاق القصر أبدا ، واذا كانت لا تستنزل اللعنات بصورة سافرة ، الا أنها كانت تجلس القرفصاء دائما على مقربة من القصر .

لم تكن هناك جدوى من اللجوء الى البوليس ، ومهما يكن فان هارى قد اعترض على ذلك محتجا بأن هذه الخطوة لن يكون من شأنها الا مضاعفة عطف الأهالى عليها . كان يواجه الموقف بشجاعة أكثر من لويز نفسها . وقد قال :

— لا تقلقى يا عزيزتى . لن تلبث أن تسأم . انها لا تحاول الا التأثير علينا .

— كلا يا هارى . انها تمقتنا .. اننى أحس بذلك . انها تريد أن تلحق بنا شرا .

— هراء . لعل لها هيئة الساحرة ولكنها ليست كذلك حقا . لا داعى لأن تزعجى نفسك بهذا الأمر .

سكتت لويز . والآن وقد هدأت الانفعالات الأولى للانتقال والسكنى الجديدة ، فقد أحست احساسا غريبا بالوحدة وبعيدة عن أسباب اللهو والمرح . كانت قد مارست الحياة فى لندن وفى الريفييرا ؛ وبدا الآن أنها تستطيب حياة الريف الانجليزى . أنها لم تكن

على أية دراية بأعمال البساتين ولم تكن تعرف كيف تصنع باقات الزهور ثم انها لم تكن فى الواقع تميل الى الكلاب .. أما جيرانها فكانوا يثيرون مللها وضيقها .

كان الشيء الوحيد الذى تفضله هو ركوب الخيل... أحيانا برفقة هارى وأحيانا بمفردها عندما يكون هذا الأخير مشغولا بشيء ما . كانت تتجول فى الغابات وفى الطرقات التى تحيط بالقصر تاركة العنان «للاميرهالى» وهو اسم الجواد الذى اشتراه هارى لها . ولكن ما أن يقترب الجواد بصاحبته من المرأة العجوز الجالسة القرفصاء حتى يشب بقائمتيه الاماميتين فى الهواء ويصهل .

وذات يوم استجمعت لويز شجاعتها عندما اقربت فى طريق نزهتها بمسز مرجا ترويد دون أن تعبأ بهما ولكنها لم تلبث أن عادت وتوقفت أمامها وسألتها وهى تلهث :

— ماذا يحدث هنا . ؟ ماذا تريدين ؟

رمشت المرأة العجوز بعينيها . كان وجهها أسمر تعلوه سمات الخبث التى يتميز بها الغجر ، وعيناها حادتان ناعستان ، وأجابت فى صوت حاد تشوبه رنة التهديد :

— هل تسألينني ماذا أريد ؟ ... حسنا . أريد ما سلبته انت منى . من الذى طردنى من كنجسدين ؟ ... اننى عشت به منذ أن كنت طفلة وقضيت به أكثر من أربعين عاما ولم يكن من الخير أن تطردينى . تعنى انك لن تصادفى خيرا ، لا أنت ولا هو .

قالت لويز :

— ولكننا بنينا لك بيتا جميلا .

ــ وبماذا يمكن أن يفيدنى ؟ ... اننى أريد بيتى وناري التى ظللت أمامها طوال تلك السنين . سيحل الشر بكما عليكما معا ... الشر والموت ... والعار .

استدارت لويز وولت هاربة وساقاها لا تقويان على حملها وقالت تحدث نفسها :

ــ يجب أن أذهب ... لابد من أن نبيع هذا البيت ... لابد أن نرحل .

كان الأمر يبدو لها سهلا فى تلك اللحظة بالذات ولكنها اصطدمت برفض هارى فقد صاح :

ــ نرحل ؟ ... نبيع البيت ؟ ... لأن امرأة عجوز تهددنا ؟ هل جننت ؟

ــ كلا ، كلا . اننى لست مجنونة ، ولكننى أعرف ان شيئا ما سيصيبنا .

ــ لا تقلقى . سوف أهتم بأمرها .

وكانت ثمة صداقة ربطت بين كلا ريس ثين ومسز لاكستون الشابة . وعلى الرغم من أن طباعهما وخصالهما كانت مختلفة فقد كانتا فى سن واحدة وكانت كل منهما تحس بأنها قريبة من الأخرى ، وكانت لويز تميل الى صحبة كلاريس ، وكانت هذه الأخيرة على شىء كبير من الهدوء والرصانة والثقة بالنفس . وقد روت لها لويز قصة مسز مرجاترويد ووعيدها وتهديدها ، ولكن كلا ريس لم تعر الأمر اهمية واكتفت بأن قالت :

ــ هذه أمور سخيفة جدا .

ــ ومع ذلك فانها أمور تخيفنى جدا يا كلاريس . وقلبى يزداد رجفة كلما فكرت فيها .

ــ ولكن ليس لك أن تقلقي وتقيمى وزنا لتهديدات سخيفة . ومهما يكن فان المرأة سرعان ما تمل .

وسكتت بضع لحظات ثم اردفت :

ــ ولكن ماذا بك ؟

لم تجب لويز على الفور ولكنها عقدت نيتها أخيرا على الافصاح عما يخالجها وقالت :

ــ انني امقت هذا المكان ... امقت الحياة هنا ... امقت الغابات وهــذا البيت والصمت الرهيب المخيم عليه امقت الليل ونعيق البوم الكئيب وامقت الناس كذلك .. وكل شيء .

ــ الناس ؟ ... أى ناس ؟

ــ أهالى القرية ... أولئك الفتيــات العانسات اللاتى لا هم لهن الا ترويج الاشاعات والأقاويل .

قالت كلاريس :

ــ وماذا يروجن ؟

ــ لا ادرى ... لا شيء خاص ، ولكنهن خبيثات ... عندما تتحدثين معهن تحسين انه لا يمكنك الوثوق بهن ولا بأى شخص آخر .

قالت كلاريس فى لهجة حادة :

ــ ما عليك الا أن تتناسيهن ... فليس هنــاك ما يشغلهن غير ترويج الاشاعات ، وهن يختلقنها فى أكثر الأحيان .

ــ لو كنت أعلم لما أتيت الى هنا . ولكن هارى كان يتوق الى ذلك .

وازداد صــوتها رقة وعذوبة وهى تنطق بالكلمات الأخيرة وقالت كلاريس تحدث نفسها « شد ماتحبه ! »

واستطردت فى صوت مسموع :

ــ حان الوقت لكى أنصرف .

ــ سأعود بك بالسيارة . تعالى لزيارتى قريبا .

هزت كلاريس رأسها بالموافقة . وأحست لويز بالارتياح لزيارة صديقتها الجديدة . وابتهج هارى اذ رآها أكثر مرحا وقال انه من المفيد لها أن ترى كلاريس كثيرا .

وفى ذات يوم قال لها :

ـــ أخبار طيبة لك يا عزيزتى .

ـــ آه ؟

ـــ اننى سويت كل شيء مع العجوز مرجا ترويد . اكنت تعلمين ان لها ابنا فى أمريكا ؟ ... حسنا . اننى دبرت الأمر لكى تذهب وتلحق به ، واعطيتها مايكفيها لرحلتها .

ـــ هارى ! ... هذا عظيم ! ... احس بأننى سأبدأ واحب كنجسدين ..

ـــ تبدئين ؟ ... انه أجمل مكان فى العالم .

ومع ذلك فقد سرت الرعشة فى أوصال لويز ... لم تستطع أن تتخلص من هواجسها بهذه السهولة

* * *

لو أن نساء قرية سانت مارى ميدكن يتوقعن أن يغتبطن باطلاع لويز على ماضى زوجها بأنفسهن فقد ضاعت الفرصة عليهن لأن هارى سبقهن الى ذلك وفوت عليهن ماكن يحلمن به .

كانت مس هارمون موجودة هى ومس كلاريس فين فى صيدلية مستر ايدج يشتريان بعض ما يحتاجان اليه عندما دخل هارى لاكستون وزوجته الى الصيدلية .

وبعد أن حى هارى العميلتين تحول الى الصيدلى

وهم بأن يطلب فرشاة للاسنان عندما أمسك فجأة وراح يضحك فى مرح ثم قال :

ـ آه ... آه ... ولكن أليست هذه هى العزيزة بيللا ؟

وكانت مسز ايدج قد أقبلت لمساعدة زوجها فابتسمت ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانها البيضاء . كانت امرأة شابة سمراء على قسط وافر من الجمال وان كانت قسمات وجهها لم تعد رقيقة كما كانت من قبل ، لها عينان كستانيتان واسعتان تتقدان حرارة . وأجابت تقول :

ـ نعم ... أنا بيللا يا عزيزى هارى . يسرنى أن أراك بعد كل هذه السنين .

تحول هارى الى زوجته وقال :

ـ ان بيللا هذه صديقة قديمة ... كنت أغازلها فيما سبق يا لويز ، وأظن اننى عشقتها فى وقت من الأوقات ، أليس كذلك يا بيللا .

أجابت مسز ليدج :

ـ هكذا كنت تقول .

أرسلت لويز ضحكة سعيدة وقالت :

ـ ان زوجي يسره دائما أن يرى أصدقاءه القدامى .

وقالت مسز ايدج :

ـ اننا لم ننسك أيها العزيز هارى . وقصة زواجك وعودتك واعادة بناء قصر كنجسدين أشبه بقصص الحوريات بالنسبة لنا .

قال هارى .

ـ اراك فى صحة جيدة وسعيدة .

أجابته مسز ايدج بأنه ليس هناك ما تشكو منه وأنه من الاوفق أن يذكر لها ماذا يريد .

وقالت كلاريس فين تحدث نفسها فى ابتهاج وهى ترى سحنة مس هاريسون المقلوبة :
— مرحى يا هارى ... لقد تغلبت عليهن .

* * *

قال الدكتور هايدوك يسأل ابنة أخيه فى لهفة ودهشة :
— ما قصة مسز مرجاترويد التى تلاحق أهل كنجسدين متوعدة مهددة بقبضتها وهى تستنزل عليهم اللعنات .
— ليست قصة وانما هى الحقيقة ، ولويز مهمومة جدا .
— قولى لها الا تعبأ بذلك ، فعندما كان الزوجان مرجا ترويد يقومان بحراسة القصر كانا لا ينقطعا عن قدح وسب أصحابه ، واذا كانا قد بقيا بعد ذلك فذلك لأن مرجا ترويد كان مدمنا للشراب ولم يكن بمقدوره أن يجد عملا آخر .
قالت كلاريس :
— سأقول لها ذلك ، ولكننى أخشى أن لا تصدقك فان المرأة العجوز لا تكف عن ملاحقتها .
— ومع ذلك فقد كانت تعبد هارى عندما كان صبيا. اننى لا أفهم .
قالت كلاريس :
— مهما يكن من أمر فانهما سيتخلصان منها وشيكا فقدا منحها هارى مبلغا من المال لكى تذهب الى أمريكا.
وبعد ثلاثة أيام سقطت لويز من فوق صهوة جوادها ولقيت حتفها .

وكانت هناك ، أمام القصر عربة نقل صغيرة بها رجلان شهدا الحادث . وشاهدا لويز تخرج من القصر ممتطية جوادها والعجوز مرجاترويد تعترض طريق الجواد وهى تهز ذراعيها وتصرخ ، الأمر الذى أثار الجواد فألقى براكبته فوق الأرض .

وأسرع أحد الرجلين لتهدئة العجوز المجنونة وهو لا يعرف ماذا يفعل فى حين هرع الآخر الى داخل البيت طلبا للنجدة .

ولم يلبث أن خرج هنرى لاكستون وقد أصفر وجهه ، وفتح الرجال الثلاثة باب عربة النقل ونقلوا اليها جثة المرأة الشابة لاعادتها الى القصر ، ولكنها لفظت آخر انفاسها قبل أن تسترد وعيها قبل قدوم الطبيب .

* * *

(نهاية قصة الدكتور هايدوك)

* * *

عندما عاد الدكتور هايدوك فى اليوم التالى سره أن يرى أن اللون قد عاد الى وجه مريضته مس ماربل وأنها استعادت كامل نشاطها . وقال :

ــ حسنا ... ما رأيك ؟

واجهته مس ماربل قائلة :

ــ ولكن أين المشكلة ؟

ــ هيا هيا يا عزيزتى ... هل يجب حقا أن أقول لك ؟

قالت مس ماربل :

ــ اظن انها تكن فى سلوك مسز مرجاترويد الغريب . ولكن لماذا تصرفت هكذا ؟ ان الناس لايطيب

لهم أن يطردوا من بيوتهم . ولكن القصر لم يكن ملكا لها ، ثم انه يبدو انها لم تكف عن الشـكوى وعن تصرفاتها الغريبة حتى قبل قدوم الزوجين الشابين ... واذن ؟ ... ولكن ما الذى جرى لها ؟

ـ انها سافرت الى ليفربول حيث اختفت ، والمعتقد انها استقلت احدى البواخر .

قالت مس ماربل :

ـ لقد جاء اختفاؤها مناسبا للبعض على كل حال ... نعم ، أعتقد ان فى مقدورنا ان نحل لغز الساحرة العجوز ... الرشوة !

ـ أهذا هو الحل ؟

ـ ما دامت قد اعتادت على تصرفها هذا فلا أرى سببا آخر يدعوها الى الاختفاء هكذا ... لا يمكن أن تكون قد أقدمت على هذا التصرف وعلى الاختفاء بعد ذلك الا اذا كان بعضهم قد دفعها الى ذلك ونقدها الثمن .

ـ وهل تعرفين هذا البعض ؟

ـ أظن ذلك ، واعتقد مرة أخرى ان السبب هو المال خصوصا واننى لاحظت كثيرا الى أى حد يتمسك الشباب بنوع المرأة التى يحبونها .

ـ انتظرى ... انى لا افهمك .

ـ ومع ذلك فان كل شىء واضـح . كان هارى لاكستون معجبا كل الاعجاب ببيللا ايدج ، وهى سمراء نارية العواطف . وابنة اختك لها نفس الصفات . أما زوجته المسكينة فكانت بعيدة الشبه عنهما ... شقراء ... من النوع الثقيل الظل الذى لا يميل هارى اليه أبدا ... وبهذا يكون قد تزوجها طمعا فى مالها ... وقد قتلها طمعا فى مالها كذلك .

ــ هل تعلت تتلها ؟

ــ يبدو لى ان هذه الكلمة الصحيحة . كان يروق للنساء ، ولم يكن يقيم وزنا لوازع من ضمير ؛ وأظن انه أراد الحصول على ثروة زوجته ثم الزواج بابنة اخنك بعد ذلك . ولعل بعضهم رآه وهو يتحدث الى مسز ايدج ولكننى لا أعتقد انه كان لا يزال مقيما على حبها وان كان قد أوحى الى زوجته بذلك لكى يصل الى غرضه .

ــ ولكن كيف قتلها ؟

نظرت مس ماربل الى الفضاء بضع لحظات ثم قالت :

ــ كان كل شىء مدبرا بأحكام بما فى ذلك وجود عربة النقل والرجلين اللذين بها وبذلك يشهد الرجلان المرأة العجوز وهى تعترض طريق الجواد فيعتقدان أن سبب الموت هو وقوعها عن ظهر الجواد طبعا . ولكننى أميل بالحرى الى بندقية هواء مضغوط أو الى نبلة . ولا تنس أنه كان ماهرا فى استخدامها ، ولا ريب أنه اطلقها فى اللحظة التى تجاوز فيها الجواد حدود القصر ، وثار الجواد طبعا وألقى بمسز لاكستون من فوق ظهره .

امسكت مس ماربل وقطبت حاجبيها ثم استطردت :

ــ وكان يجب أن تلقى حتفها على أثر سقوطها ولكنه لم يكن واثقا من ذلك ، ولم يكن هارى من الرجال الذين يرتكبون اخطاء ، ومهما يكن من أمر فلا أرى ما يمنع مسز ايدج من أن تعطيه شيئا خفية عن زوجها ،

ولا شك أن هذا هو السبب فى أن هارى كان ظريفا معها ... نعم ، يخامرنى احساس بأنها أعطته عقارا ما وانه أعطاه لزوجته قبل ذهابك لعيادتها . فعندما تقع امرأة عن ظهر جواد وتصاب بجرح خطير وتموت دون أن يعود اليها الرشد فان ذلك لا يدعو الطبيب المعالج الى الشك والارتياب . أليس كذلك ؟

هز الدكتور هايدوك رأسه فسألته مس ماربل :

ــ اوه فما الذى أثار الشك فى نفسك ؟

أجاب الدكتور هايدوك :

ــ ليس هناك أى سحر فىذلك . لم أفعل أكثر من التحقيق من أمر معروف وهو أن كل قاتل يزهو دائما بمهارته وذكائه بحيث لا يتوفر الحذر المطلوب . كنت أحاول مواساة هــذا الزوج المفجوع وانطلق ببعض كلمات العزاء ، وكنت شديد الحزن فى الواقع ، عندما تهالك فوق المقعد وهو يتظاهر بالحزن الشــديد ، وعندئذ وقع من جيبــه محقن زجاجى ... فأسرع بالتقاطه ولكن نظرته المرتاعة حملتنى على التفكير . لم يكن كستون يتناول أى دواء ، وكان فى صحة جيدة فما الذى كان يفعله بالمحقن ؟ وقمت بتشريح الجثة وفى رأسى فكرة معينة فوجدت ســم الستوفانتين . وكان الباقى سهلا . وجدت نفس السم فى بيت آل لاكستون. وعندما استجوب البوليس بيللا ايدج انهارت ثم اعترفت بأنها هى التى زودت هارى به . أما العجــوز مرجا ترويد فقد اعترفت هى الأخرى بأن هارى لاكســتون نقدها مالا لكى تتصرف كما تصرفت .

ــ وابنة أختك ؟

ــ حسنا . انها كانت تشعر بالميل نحو هارى ولكن الأمر لم يتجاوز مجرد الميل .

والتقط الدكتور هايدوك قصته وقال :

ــ مرحى يا مس ماربل ... ومرحى لى أنا الآخر لعلاجى . ها أنت قد استعدت صحتك واستعدت نفسيتك .

الخـــادمة

ـ هل تسمحين بأن اتحدث اليك لحظة يا سيدتى ؟

أجابت مس ماربل على الفور :

ـ طبعا يا اونا . ادخلى وأغلقى الباب . ما الخبر.

أغلقت الخادمة الشـابة الباب كما طلب منها ثم تقدمت الى داخل الغرفة وأمسـكت طرف مئزرتها وراحت تلويه بين أصابعها فى انفعال ، وازدردت لعابها مرة أو مرتين :

فقالت مس ماربل تشجعها فى رفق :

ـ نعم يا اونا ؟

ـ أواه يا سيدتى ... انها ابنة عمى جلادى .

قالت مس ماربل وقد قفزت الى أسوأ الاستنتاجات وهى فى أغلب الاوقات أصحها بكل أسف :

ـ يا الهى ! هل وقعت فى مشاكل ؟

اسرعت اونا تطمئنها قائلة :

ـ اوه كلا يا سيدتى . ليس الأمر كما تظنين ولكن حدث ما يقلقها . انها فقدت وظيفتها .

ـ اوه ، يؤسفنى أن أسمع هذا . انها كانت تعمل فى أولد هول ، مع الآنستين سكينر ، أليس كذلك ؟

ـ نعم يا سيدتى ... وجلادى سريعة الانفعال ..

ـ بخيل الى أنه لم يكن من عادة جلادى أن تظل عادة فى نفس الوظيفة ؟ .

ـ ولكن جلادى لا تبقى غالبا فى مكان واحد كما بخيل لى .

ـ أجل يا سيدى ان جلادى تحب التغيير ، فهى فعلا لا تستطيع البقاء فى نفس المكان مدة كبيرة . ولكن كانت دائما هى التى تترك العمل من تلقاء نفسها دائما .. هل تفهمين قصدى ؟

سألتها مس ماربل فى حدة ؟

ـ ولكن الانستين سكيز طرداها هذه المرة ؟

ـ نعم يا سيدتى .. وقد ساءها هـذا الأمر كثيرا .

ارتسمت أمارات الدهشة على ملامح مس ماربل تذكرت جلاديس ـ عندما كانت تأتى فى بعض الأحيان لتناول فنجان من الشاى فى المطبخ فى أوقات فراغها ـ فتاة بدينة لها ضحكة بلهاء وطبيعة ساذجة .

واستطردت اونا تقول :

ـ ولعلك تفهمين سـبب استيائها يا سيدتى ، فذلك يرجع الى الطريقة التى طردت بها والى التصرف لمس سكيز معها ..

سـألتها مس ماربل فى صبر : وكيف كان تصرف مس سكيز ؟

انطلقت اونا هذه المرة فى الحديث وراحت تقول :

ـ أوه يا سيدتى . كانت صدمة كبيرة لجلادى . اختفى بروش مشبك ماسى من مشابك مس اميلى ، وتسبب اختفاؤه فى أحداث مأسـاة كبيرة ، وبالطبع لا يروق لأى واحد منا أن تكون موضع شك أو شبهة فى أمر كهذا ، لأنه أمر مشين لا يصح السكوت عليه

وقد اشتركت جلاديس فى البحث عن هذا البروش المشبك فى كل مكان .

وقالت مس لافينيا أنها ستبلغ البوليس ولكن لم يلبث أن ظهر البروش فى أحد أدراج طاولة الزينة . وأظنك تدركين مدى ارتياح جلادى عندئذ .

وفى صباح اليوم التالى كسرت جلادى طبقا . وكأنما تعمدت ذلك فغضبت مس لافينيا وأنذرتها بالفصل آخر الشهر . ومن رأى جلادى أن مس لافينيا لايمكن أن تطردها بسبب الطبق ، وانه اتخذته ذلك حجة ، وأن السبب الحقيقى هو المشبك ، وأن مس لافينيا تعتقد أنها أخذت المشبك ثم اعادته مكانه عندما هددت بابلاغ البوليس . ولكن لا يمكن لجلادى أن تتقدم على مثل هذا العمل وهى تخشى أن يعرف الجميع القصة وان ينظروا اليها كلصة وهو أمر فظيع بالنسة لها كما تعرفين يا سيدتى .

أحنت مس ماربل رأسها واستطردت اونا وكلها أمل :

ــ أخشى يا سيدتى أنك لا تستطيعين عمل شىء ؟ .. ان جلادى المسكينة فى حالة ..

قالت مس ماربل فى ايجاز :

ــ قولى لها أن لا تشغل بالها ، اذا كانت لم تأخذ المشبك فاننى واثقة انها لم تأخذه ، وليس هناك من سبب لكى تقلق .

قالت اونا فى لهجة كئيبة :

ــ ولكن الجميع سيعرفون القصة .

ــ كنت أنوى أن اذهب الى هناك اليوم بالذات . سأتبادل حديثا قصيرا مع الآنستين سكينر .

قالت اونا :

ــ أوه .. شكرا لك يا سيدنى .

● ●

كان أولد جوى قصيرا كبيرا مشيدا على الطراز الفيكتورى تحيط به حديقة تغطيها الأعشاب الشائكة . وعندما اتضح انه لا يمكن تأجيره وهو فى حالته تلك ، قسمة مستثمر ذكى الى أربع شققوأدخل فيها المياه الساخنة وترك للسكان ميزة الاستمتاع بالحديقة .

وجاءت التجربة بنتائج طيبة فقد أقبلت سيدة عجوز ثرية غريبة الأطوار وسكنت احدى الشقق ومعها خادمة تشرف على خدمتها . وكانت تحب العصافير وتقيم الكثير من الولائم لبعض معارفها . كما أقبل ضابط من الهند أحيل الى المعاش واستأجر هو وزوجته شقة أخرى أما الشقة الثالثة فقد سكنها زوجان شابان ، ومنذ شهرين استأجرت الآنستان سكينر الشقة الأخيرة .

لم يكن السكان يتزاورون الا فيما ندر نظرا الى أنه لم يكن تربطهم ببعضهم البعض رابطة . ويبدو أن صاحب البيت صرح بأن هذه الظاهرة شىء رائع فان أخشى ما كان يخشاه هو أن يتزاور السكان كثيرا فلا يلبثون أن يتشاجروا ثم يأتونه بعد ذلك شاكين متذمرين .

وكانت مس ماربل تعرف جميع السكان ولكنها كانت معرفة سطحية . كانت كبرى الأختين سكينر ، وتدعى لافينيا ، هى الرأس الكبيرة فى الأسرة أما مس اميلى ، الأخت الصغرى ، فكانت تمضى كل وقتها فى فراشها لأنها كانت تشكو من آلام شتى اذا صدقنا أهالى القرية . وهى لم تكن سوى آلام وهمية . أما مس

لافينيا فكانت تؤمن ايمانا صادقا بمرض اختها وعذابها وطول صبرها فى محنتها وكانت تقطع طرقات القرية عن طيب خاطر بحثا عن الأشياء التى تحتاج اليها أختها المسكينة فجأة .

وكانت القرية تعتقد أنه اذا كانت مس اميلى تشكو كما تقول لأرسلت فى طلب الدكتور هايدوك منذ وقت طويل . ولكن مس اميلى ، عندما عرضوا عليها هذا الاقتراح أطبقت عينيها مترفعة وتمتمت تقول ان مرضها ليس مرضا عاديا وأن أكبر اخصائى لندن لم يكتشفوا كنهه فيه وان طبيبا جديدا فى العاصمة ، وهو طبيب قدير يعالجها علاجا ثوريا تماما وانها ترجو أن تتحسن صحتها بعد قليل على يديه وان طبيبا ريفيا متواضعا كالدكتور هايدوك لا يمكنه أن يفهم علتها .

وقالت مس هارتنك التى لم تكن تفتقر الى الصراحة :

— من رأيى انها على حق فى عدم استشارة الدكتور هايدوك لأنه سيقول لها انه ليس هناك ما تشكو منه وانه لا يجب أن تقيح الدنيا وتفتقدها بدون سبب ، وانها ان عملت بنصحه كان فى ذلك الخير لها كل الخير ..

ولكن طالما أن هذا العلاج الناجع لم يتبع فانها بقيت ملازمة لفراشها تحيط نفسها بشتى الادوية والعقاقير وترفض تقريبا كل ما يقدم لها من طعام ثم لا تلبث أن تطلب غيره .

فتحت جلاديس الباب لمس ماربل ، وكانت الخادمة المسكينة تبدو أكثر انهيارا مما توقعت الانسة العجوز ، وفى غرفة الاستقبال نهضت مس لافينيا وأسرعت نحو زائراتها قائلة ،

— يسرنى زيارتك . ان اميلى راقدة . ان المسكينة ليست على ما يرام اليوم ، وأرجو أن تستقبلك فقد يكون ذلك خيرا لها . ان هناك أوقاتا لا تجد فيها القوة لكى ترى أحدا . مسكينة اميلى .. لقد صبرت كثيرا ..

أجابت مس ماربل بعبارة مهذبة . ولما كانت المسألة الرئيسية التى تشغل اهل القرية هى مسألة الخدم فلم يكن من اليسير عليها توجيه دفة الحديث الى هذه الناحية وقالت انها سمعت ان جلاديس هولمز ستفارقها .

أحنت مس لافينيا رأسها وقالت :

— نعم . يوم الأربعاء القادم . انها كسرت لى أطباقا كثيرة .

تنهدت مس ماربل وقالت ان الجميع يضطرون الى تقبل امور كثيرة فى هذه الأيام وسألتها ان لم تكن نادمة على طردها لجلاديس .

واعترفت مس لافينيا قائلة :

— اننى أعرف أن من العسير العثور على الخدم فى هذه الأيام فان آل ديفرو لا يجدون خادمة ولكن هذا لا يدهشنى .. والحفلات الراقصة طوال الليل والشجار الدائم ووجبات الطعام فى أى وقت ..

طعام الافطار فى تمام الساعة السادسة صباحا . ثم ان مس لاركين تشكو طوال الوقت ولا يدهشنى أمرها كذلك ، وخادمة مسز كارمايكل ماهرة ولكننى أراها امرأة بشعة تكاد تفتر سيدتها عقلها .

— الا تعتقدين اذن .. انه يمكنك الرجوع فى قرارك بخصوص طرد جلاديس ؟ .. انها فتاة باسلة

وأنا أعرف كل أسرتها .. وانهم اناس شرفاء ..

هزت لافينيا رأسها وتمتمت مس ماربل :

— سمعت أنك فقدت شيكا .

— من الذى تكلم ؟ .. أظنها جلاديس . اذا أردت الصراحة فانني أكاد أكون واثقة من انها هى التى أخذته ثم عادت ووضعته مكانه ثانية . ولكن لا يمكننى اتهامها دون دليل طبعا .

وغيرت مجرى الحديث فقالت :

— هلمى بنا لكى ترى أميلى يا مس ماربل . اننى واثقة ان زيارتك ستسرها كثيرا .

تبعت مس ماربل مس لافينيا فى هدوء حتى غرفة طرقت هذه الأخيرة بابها ودخلت . وكانت أفضل غرفة فى الشقة . وكانت النوافذ نصف مغلقة فأغرقتها فى ظلام خفيف . وكانت مس اميلى راقدة فى الفراش .

رأت مس ماربل وبها نحيفا غير واضح القسمات تعلوه كتلة من الشعر الأشيب غير المشط وقد تجمع فى خصلات فوق الرأس فبدا كأنه عش لا يرضى أى عصفور لديه ذرة من الكرامة أن يلجأ اليه . وكانت الغرفة نفسها تعبق برائحة الكولونيا والبسكويت المزنخ والكافور .

وتمتمت اميلى سكينر فى صوت واهن وعيناها نصف مطبقتين بأنها فى أسوأ حالاتها وقالت فى لهجة حزينة :

— ان الشىء الوحيد الذى يحز فى نفس المريض هو شعوره بأنه حمل ثقيل على الذين يحيطون به .

احتجت أختها قائلة :

— أبدا .. أبدا يا اميلى . لا تقولى هذا الكلام .

قالت اميلى :

ـــ ان لافينيا كريمة جدا معى .. عزيزتى لافى ، اننى لا أحب أن أشكو ولكن اذا كان من الممكن تغيير « القربة »بأخرى ســـاخنة .. وأرجو أن لا تملئيها الى آخرها لأنها تثقل على بطنى . ثم انها اذا لم تكن مملؤة بما فيه الكفاية فسرعان ما تبرد .

ـــ اننى آسفة يا اميلى .. اعطينى اياها لأفرغها قليلا .

ـــ بل لعل من الأوفق أن تأتينى بأخرى غيرها . أظن أن البسكويت قد فرغ .. كلا . كلا . لا أهمية لذلك . يمكننى الاستغناء عنه واستبداله بقليل من الشاى مع قطعة من الليمون .. أظن أن اللبن لم يكن جيدا صباح اليوم ولهذا لم اشأ أن أخلطه بالشاى .. لا بأس . بل يمكننى الاستغناء عن الشاى نفسه ولكننى أحس بأننى ضعيفة . حبذا لو تأتينى ببعض المحار فهم يقولون انه مغذ .. أظن اننى قد أتنـــاول قليلا منه .. أوه ، كلا . كلا .. من الصعب عليك الذهاب لاحضار بعض منه فى مثل هذه الساعة . يمكننى أن أصبر حتى صباح الغد .

غادرت لافينيا الغرفة وهى تقول فى غموض أنهـــا ستركب الدراجة وتمضى الى القرية .

قالت مس ماربل لاونا فى تلك الليلة انها لم تفلح فى مهمتها .

ولاحظت بكل أسف أن الرأى العام قد بدأ يرتاب فى أمانة جلاديس : وفى مكتب البريد قالت مس ويذربى تخاطب مس ماربل :

ـــ أى عزيزتى جين ـــ ان مس لافينيا أعطتها شهادة تقول فيها انها مجدة فى عملها ونشيطة وانها لاتشرب

الخمر ولا تغازل الرجال ولكنها لم تشر فيها للامانة والشرف ، ويبدو أن لذلك مغزاه . ولكن لن يكون من السهل للاختين سكينر أن يعثرا على خادمة أخرى . فلا توجد خادمة تقبل أن تذهب الى أولد هول ، وستضطر مريضة الوهم اميلى أن تنهض عندئذ وأن تفعل شيئا .

ولكن كم كانت دهشة القرية عندما علمت أن الاختين سكينر حصلا على خادمة جديدة عن طريق مكتب للتخديم ، وانها خادمة تعتبر جوهرة نادرة على حد قولهما :

— انها بقيت عند سيدتها القديمة ثلاث سنوات ؛ وهى توصى بها بشدة وتقول انها تفضل العمل فى الريف ، ثم انها تطلب أجرا أقل بكثير من أجر جلاديس .. أظن أن الحظ قد حالفنا حقا .

واجمع أهالى القرية عندئذ على أنه لن يمضى وقت طويل على « الجوهرة النادرة » حتى تقدم على حماقة ما .

ولكن تنبؤاتهم لم تتحقق وراح الأهالى يتأملون « الجوهرة النادرة » المسماة بمارى هيجنز والتى جاءت بسيارة أجرة الى اولدهول . كانت فى الحق امرأة نشيطة ، محترمة المظهر تعنى بهيئتها وهندامها .

* * *

عندما ذهبت مس ماربل لزيارة أولد هول للمرة الثانية لكى تطلب متطوعات للعمل فى الحفلة الخيرية السنوية التى تقيمها القرية كانت مارى هيجنز هى

التى فتحت لها الباب . وكانت هيئتها توحى باحساس طيب بالنسبة لشعرها الأسود الذى نمشطه فى عناية ولوجنتيها المتوردتين وقوامها الممتلىء وثوبها الأسود البسيط ومئزرتها البيضاء . كانت امرأة فى الأربعين من عمرها مثالا لخادمة مثالية : من الجيل الماضى ؛ كما قالت مس ماربل فيما بعد فى عبارات جادة تناسب المقام .

وكانت مس لافينيا تبدو أقل اعياء من ذى قبل وعلى الرغم من أنها رفضت وهى تعتذر بأنها لا تستطيع المساهمة فى الحفلة بسبب اعتلال صحة أختها فقد قدمت مساعدة مالية لا بأس بها ووعدت أن تقدم بعض فرش النظافة وجوارب الأطفال قبل موعد الحفلة .

وقالت مس ماربل انها تبدو الان فى صحة جيدة فردت عليها قائلة :

— أعترف بأننى أدين بالكثير لمارى ويسرنى جدا اننى تخلصت من تلك الفتاة الأخرى . ان مارى جوهرة حقا فهى تجيد الطهى ثم انها مهذبة وتحرص على نظافة المسكن جيدا .. فتغير الفراش كل يوم وتعرف كيف تتصرف مع اميلى .

وأسرعت مس ماربل تسأل عن أخبار هذه الأخيرة فأجابت :

— أوه يا للمسكينة . انها لم تكن على ما يرام فى الاونة الأخيرة ومع انه لا حيلة لها فى ذلك طبعا ولكنها تعقد الأمور بعض الشىء فهى تطلب أصنافا معينة فاذا أحضرناها لها تعود فتقول انها لا تستطيع تناولها فورا ثم تعود فتطلبها من جديد بعد نصف

ساعة . وكل هذا يضاعف العمل طبعا ولكن أحمد الله على أن مارى تقوم بخدمتها دون أن تشكو أو تتذمر وتقول انها معتادة على خدمة المرضى وانها تدرك ما يعانون انها تسهم فى راحتنا كثيرا .

قالت مس ماربل :

ـ يا الهى .. انك محظوظة حقا .

ـ نعم ، هو ذلك . أشعر أن العناية الالهية هى التى أرسلتها الينا .

وعادت مس ماربل تقول :

ـ هذا أمر جميل جدا حتى أنه ليصعب تصديقه . لو اننى مكانك .. حسنا .. لاتخذت احتياطاتى .

لم تدرك لافينيا المغزى المستتر وراء هذه الملاحظة وقالت :

ـ أوه ، اننى أؤكد لك اننى أبذل كل ما أستطيع لكى أهون عليها حياتها معنا ، فاننى لا أدرى ماذا يكون من أمرنا لو انها فارقتنا .

أجابت مس ماربل وهى تنظر الى مضيفتيها مليا :

ـ لا أظن أنها ستذهب الا بمحض ارادتها .

قالت مس لافينيا :

ـ ان الأمور تكون سهلة اذا لم تكن هناك مشاكل مع الخدم ، أليس كذلك ؟ .. كيف حال خادمتك اونا ؟ ...

ـ اننى راضية عنها جدا . انها ليست ذكية كخادمتك مارى طبعا ولكننى أعرف أهلها جيدا لأنها من القرية .

ومرة أخرى القت مس ماربل على مس لافينيا بنظرة لها مغزاها ثم تنهدت وغيرت مجرى الحديث فسألت ان كانت تستطيع رؤية مس اميلى ؟

فأجابت لافينيا وهى تهز رأسها :

ــ لا أظن انك تستطيعين رؤيتها اليوم،فان المسكينة فى حالة لا تمكنها من استقبال أحد .

عبرت مس ماربل عن أسفها واستأذنت فى الانصراف

وفيما هى تجتاز البهو سمعت صوت المريضة المحموم يقول :

ــ هذه الكمادة جافة تماما وقد نصح الدكتور الليرتون أن تكون رطبة جدا دائما . كلا ، كلا . دعيها الان . أريد فنجانا من الشاى وبيضة نصف مسلوقة .. ثلاث دقائق ونصف لا أكثر .. لا تنسى ذلك ، وارسلى لى مس لافينيا .

خرجت مارى « الجوهرة » من الغرفة وقالت لمس لافينيا :

ــ ان مس لافينيا تطلبك يا آنسة .

ثم فتحت الباب لمس ماربل وعاونتها على ارتداء معطفها وناولتها مظلتها .

أخذت مس ماربل المظلة وأوقعتها من يدها وعندما حاولت أن تلتقطها أوقعت حقيبتها ، وانفتحت الحقيبة واسرعت مارى تجمع محتوياتها التى تناثرت على الأرض : منديل ودفتر صغير وكيس نقود قديم وشلنان وثلاثة بنسات وقطعة من سكر الشعير بالنعناع .

تناولت مس ماربل قطعة الحلوى فى شىء من الارتباك وقالت :

ــ أوه يا الهى ! .. لابد ان ابن مسز كليمنت

الصغير هو الذى دسها لى فى الحقيبة ! .. انه كان يمتصها واذكر انه أخذ حقيبتى ليلهو بها ولا ريب انه وضع الحلوى بداخلها . انها لزجة جدا .

ـ هل تريد الانسة أن تتخلص منها ؟ .

ـ أوه .. أكون شاكرة لك لو فعلت .

وانحنت مارى لكى تلتقط آخر شىء . وكان عبارة عن مرآة صغيرة أخذتها مس ماربل وهى تقول :

ـ الحمد لله انها لم تنكسر .

وانصرفت على اثر ذلك فى حين وقفت مارى على عتبة الباب فى أدب وفى يدها قطعة الحلوى ، جامدة الأسارير .

* * *

اضطرت قرية سانت مارى ميد أن تحتمل قصص الأعمال الباهرة التى تقوم بها مارى « الجوهرة » ، ولكنها استيقظت فى اليوم الحادى عشر لـكى تعلم بالنبأ المثير .

ذلك أن الجوهرة اختفت ، وثبت أنها لم ترقد فى فراشها وانها تركت الباب العمومى مفتوحا خلفها، بعد ان هربت خلسة أثناء الليل .. ولم تختف وحدها وانما اختفى معها مشبكان وخمسة خواتم ملك للافينيا وثلاثة خواتم وعقد بدلاية وسوار واربع مشابك ملك لمس اميلى .

وكانت هذه بداية سلسلة من الكوارث التى شهدها البيت الكبير ذى الطراز الفيكتورى .

فقد افتقدت مسز ديفرو الشابة مجوهراتها التى تحتفظ بها فى درج غير مغلق بالمفتاح والفراء الثمين

الذى أهدى لهـا بمناسبة زواجهـا وافتقد القاضى وزوجته بعض المجوهرات ومبلغا من المـال . وكانت مسـز كارمايكل هى التى خسرت الكثير فلم تفتقـد مجوهراتها الثمينة فحسب ولكنها افتقدت كذلك مبلغا جسيما من المال كانت تحتفظ به فى مسكنها .

فى تلك الليلة كانت جانيت فى أجازة ، وكان من عادة مخدومتها أن تتنزه فى الحديقة مع هبوط الليل لكى تلقى بلباب العيش للعصافير وكان من الواضح أن مارى .. الخادمة التى لا تقـدر قد تمكنت من فتح أبواب الشقق الأربع .

ويجب الاعتراف بأن أهالى قرية سانت مارى ميد تلقوا النبأ بشىء من السرور ، فان مس لافينيا كانت تزهو دائما بمارى بأنها اعجوبة الأعاجيب ، ولم يسعها الا أن تعترف قائلة : انهـا كانت تسرق كل شىء فى الفترة القصيرة التى أمضتها فى خدمتها .

وعرف أهالى القرية أشياء أخرى ، فان مارى لم تكد تهرب حتى اتضح أن مدير مكتب التخديم الذى أوصى بها انهـار عندما علم أن مارى هيجنز التى اتصلت به واطلعته على شهاداتها لا وجود لها اطلاقا ، أو بالأحرى انها انتحلت اسـم خادمة كانت تقـوم بالخدمة عند أخت مدير احدى الجامعات ثم اعتزلت الخدمة وتعيش الآن فى هدوء فى احدى مدن كورنواى .

وقال المفتش سلاك :

ــ انها طريقة تدل على الجرأة ، واذا أردت رأيى فان هـذه المرأة تنتمى الى احـدى العصابات وقد وقعت حادثة مشابهة فى نور تمبرلاند منذ سنة ولم نعثر على المسروقات ولا على السارقة حتى اليوم ،

ولكننا هنا سنتصرف بطريقة أفضل .

ولكن الأسابيع أخذت تمر دون الاهتداء الى اثر ماري هيجنز ، وقد اغتمت مس لافينيا لذلك . أما مس اميلى فقد ساءت حالتها لدرجة انها طلبت استدعاء الدكتور هايدوك .

* * *

كانت القرية كلها على استعداد لبذل أى شيء لكى تعرف رأى الدكتور هايدوك فى حالة اميلى الصحية .. ولكن كان من العسير أن يسأله أحد عن ذلك .

ومهما يكن فقد سرهم أن يعرفوا بعض الحقائق عن هذا الموضوع عن طريق مستر ميك . مساعد الصيدلى ، الذى كان على علاقة صداقة مع كلارا خادمة مس برايس ريدلى . قال مستر ميك ان الدكتور هايدوك وصف فى علاجه لمس اميلى خليطا من الحلتيت والناردين ، وهو طبقا لأقوال مستر ميك مزيج يقدمونه للمتمارضين فى الجيش ، واستنتجوا من ذلك أن هذا العلاج قد وضع حدا للتساؤلات فيما يتعلق بصحة مس اميلى ، واستحق الدكتور هايدوك اعجاب الجميع للطريقة الحازمة التى عالج بها المشكلة .

وبعد قليل عرفوا أن مس اميلى لم تكن راضية عن الرعاية الطبية التى بذلت لها وصرحت بأنها ترى أن من الأفضل أن تكون على مقربة من الاخصائى اللندنى الذى يفهم حالتها وان هذه الطريقة تسهل الحياة لأختها . وعلى هذا عرضت الشقة للايجار .

وبعد بضعة أيام ، ذهبت مس ماربل وهى متوردة

الوجنتين وفى حالة اثارة ظاهرة الى مركز البوليس وطلبت مقابلة المفتش سلاك .

ولم يكن المفتش سلاك يميل الى مس ماربل ولكنه كان يعلم أن القوميسيــــر ميلشيت لا يشـــاركه هذا الشعور ، فاضطر لاستقبال الآنســـة العانس على مضض وقال :

ــ صباح الخير يا مس ماربل . ماذا أستطيع أن أؤدى لك .

أجابت مس ماربل :

ــ يا الهى ! لا ريب اننى ازعجك .

ــ ان لدى عملا كثيرا بالطبع ولكننى أستطيع أن اكرس لك بضع لحظات ..

قالت مس ماربل :

ــ اوه ، أرجــو أن أتمكن من أن أشرح لك الأمر بطريقة مفهومة . فان من الصعوبة أن أعبر عما أريد كما تعرف . كلا . قد لا يكون الأمر عسيرا بالنسبة لك . ولكنك تعرف اننى لم اتلق اية ثقافة عصرية ... وان التى قامت على تعليمى مربية بسيطة كانت تذكر للاطفال تواريخ الأحداث وقليلا من علم الاحياء وعلم النبات .

سألها المفتش قائلا :

ــ هل أتيتنى لكى تحدثيننى عن امراض النباتات ؟

ــ كلا ، كلا . كان هذا مجرد مثل . اننى أتيت لكى أحدثك عن جلاديس خادمة الأختين سكينر ..

قال المفتش :

ــ تعنين مارى هيجنز ؟

ــ آه ، نعم . انها الخادمة الثانية ، ولكننى أقصد جلاديس هولمز ... فتـــاة ليست مهذبة جدا ولكنها

تتمتع بالأمانة التامة ويهمنى أن تظهر براءتها .
— ولكن أحدا لم يتهمها بشىء بقدر ما أعلم .
— هذا صحيح . لم توجه اليها التهمه مباشرة . وهذا أسوأ ما فى الأمر فان الناس ما زالوا يعتقدون أشياء كثيرة ... اوه ، يا الهى ! كنت اعرف اننى لن أجيد الشرح . أريد أن اقول أن المهم هو أن نجد مارى هيجنز .

قال سلاك :
— بدون أى شك . ألديك فكرة فى هذا الصدد ؟
وتذكر فى غير حماس أن آراء مس ماربل قد ألقت الضوء على أكثر من قضية .

قالت مس ماربل :
— حسنا ، اعتقد ذلك . هل أستطيع أن ألقى عليك سؤالا ؟ ... هل يمكن أن تفيدك بصمات هذه المرأة ؟
قال سلاك :
— آه . انها تغلبت علينا . يبدو أنها كانت تقوم بعملها وهى مرتدية قفازا ، وقد حرصت على أن تمحو كل آثار بصماتها فى غرفتها ... اننا لم نجد لها بصمة واحدة . فى أى مكان بالشقة .
— اذا وجدت بصماتها فهل يساعدك ذلك ؟
— طبعا يا آنسة . لعل سكوتلانديارد لديها هذه البصمات الآن فاننى لا أظن أن هــذه السرقة أولى سرقاتها .

أحنت مس ماربل رأسها فى ارتياح وفتحت حقيبتها وأخرجت منها علبة صغيرة من الورق المقوى بداخلها مرآة دقيقة يحيط بها بعض القطن المندوف وقالت :
— ستجد بصماتها على هذه المرآة ، وهى بصمات

واضحة فقد أمسكت قبلها مادة شديدة اللزوجة .

حدق المفتش سلاك فى محدثته وقال :

ــ هل أخذت بصماتها عمدا ؟

ــ طبعا .

ــ كنت تشتبهين فيها اذن ؟

ــ حسنا ... لقد بدت لى مثالية لدرجة يصعب معها أن تكون كذلك . وحاولت أن أحمل مس لافينبا على أن تفهم ذلك ولكنها أصمت اذنيها ، وأنا لا أؤمن بالمثالية يا سيدى المفتش . ان لغالبيتنا عيوبا والخدمة عند الغير تكشف هذه العيوب سريعا .

قال سلاك وقد تلاشت دهشته :

ــ حسنا ، اننى شاكر لك جدا . سأرسل هذه البصمات الى سكوتلانديارد ... سنرى ماذا تكون النتيجة .

وسكت . ونظرت مس ماربل اليه وقد أحنت رأسها جانبا فى شىء من الأهمية وقالت :

ــ الا يخطر ببالك أيها المفتش أن فى مقدورك أن لاتبحث بعيدا .

ــ ماذا تعنين بهذا القول يامس ماربل ؟

ــ من العسير أن أشرح لك ، ولكن عندما تجد نفسك أمام أمر خارج عن المألوف فانك توليه اهتمامك على الرغم من أنه قد يبدو فى بعض الأحيان من التفاهة بمكان ، وهذا ما حدثت نفسى به منذ البداية ... اننى أتحدث عن جلاديس .. والمشبك . انها فتاة أمينة ولم تسرق هذا المشبك . لماذا اتهمتها مس سكينر اذن ؟ ان مس سكينر ليست غبية ، فلماذا حرصت على أن تتخلص من خادمة قديرة فى حين انه كان من

الصعب الحصول على غيرها . بدا لى ذلك غريبا كما تعرف وعندئذ فكرت وفكرت طويلا . ولاحظت عندئذ أمرا صغيرا شديد الغرابة . كانت مس اميلى مصابة بوسواس المرض ومع ذلك فهى ترفض أن يزورها الطبيب ، والمرضى بالوهم يحبون دائما أن يهتم بهم الأطباء . ولكن مس اميلى شذت عن هذه القاعدة .

فسألها المفتش سلاك وهو لا يدرك ما تقصده .

ـ ماذا تعنين يا مس ماربل ؟

ـ أعنى هذا . ان مس لافينيا ومس اميلى مخلوقتان غريبتا الأطوار . تقضى مس اميلى كل وقتها تقريبا فى غرفة مظلمة ، واذا كانت لا تضع فوق رأسها شعرا مستعارا ، فاننى أكون غبية لا أفهم شيئا . ومن رأيى أن من الممكن لامرأة نحيلة شاحبة ذات شعر أشيب أن تتبدل الى امرأة سمينة ذات شعر أسود ووجنتين متوردتين . وبقدر ما أعلم فان أحدا لم ير مس اميلى ومارى هيجنز فى وقت واحد . وقد تمكنت الأختان من أخذ بصمات الأقفال ودرستا عادات السكان الآخرين ثم تخلصتا من جلاديس هولمز وتخرج مس أميلى ذات ليلة ثم تعود فى اليوم التالى فى هيئة مارى هيجنز ، وفى اللحظة المنشودة تختفى مارى هيجنز وترقى كل الشبهات اليها .

وسأقول لك أين تجدها الآن أيها المفتش ... فوق أريكة مس اميلى سكينر . خذ بصماتها اذا لم تصدقنى وسترى عندئذ اننى على حق . ان الاختين سكينر ما هما الا لصتان بارعتان ولكنهما لن يفلتا من قبضة العدالة هذه المرة . لن أقبل أن تتهم فتاة من قريتى بالسرقة . ان جلاديس هولمز لا تسرق دبوسا ،

سأحرص على أن يعرف الجميع ذلك . الى الملتقى يا المفتش .

وغادرت مس ماربل الغرفة قبل أن يسترد المفتش نفاسه فأخذ يتمتم محدثا نفسه :

ـــ يا الهى ! ... اننى لاتساءل عما اذا كانت على صواب .

ولم يلبث ان اكتشف مرة أخرى أن مس ماربل كانت على صواب .

وهنأ الكولونل ملشيت مرؤوسه على مقدرته وكفاءته . ودعت مس ماربل جلاديس لكى تتناول فنجانا من الشاى مع اونا لكى تزودهما ببعض النصائح عن الفائدة التى تجنيها ببقائها فى مكان عمل واحد طيب عندما تجده .

الصندوق الصينى

كنت الاحظ فى الأيام الأخيرة ان بوارو يزداد عبوسا وأسى يوما بعد يوم . لم تكن تشغلنا اية قضـــايا أو معضلات هامة ولذلك لم يستطع صديقى أن يستخدم ذكاءه ومقدرته الكبيرة فى الاستنتاج . وفى صباح ذلك اليوم من شهر يوليه ألقى بجريدته فوق الأرض وهو يلفظ لفظة ضيق وفروغ صبر كانت من عاداته المفضلة وكان رنينها أشبه بعطسة القط .

وقال : انهم يخشون بأسى يا هاستنجز ... أشرار بلادك الانجليز ، انهم يخشوننى ، فعندما يكون القط موجودا فان الفئران لا تحـــاول الاقتراب من قطعة الجبن .

قلت وأنا أضحك : اننى واثق ان أكثرهم لم يسمعوا عنك أبدا .

رمانى بوارو بنظرة عتاب فهو يؤمن دائما بأن الدنيا بأسرها قد سمعت عن هركيول بوارو ومن المؤكد أنه معروفا فى لندن ولكننى لا أظن مع ذلك ان وجوده يمكن أن ينشر الرعب فى عالم الجريمة .

سألته : وما رأيك فى مجوهرات شارع بون التى سرقت فى وضح النهار ؟

أجاب بوارو وكان السؤال قد أعجبه : انها ضربة لا بأس بها وان كانت ليست من النوع الذى يستهوينى،

فليس فيها أى ذكاء وانما مجـرد جراة ، فقد حطم اللص الواجهة الزجاجية لأحد محال المجوهرات بعصا فى طرفها قطعة من الرصاص واستولى على الأحجار الثمينة المعروضة بها . وأسرع بعض المواطنين الشرفاء فأمسكوا به واقبل أحد رجال الشرطة والقى القبض عليه ، وكانت المجوهرات معه . وذهبوا به الى قسم البوليس وهناك اكتشفوا أن المجوهرات التى معه زائفة وانه أعطى المجوهرات الحقيقية لزميل له ، وهو أحـد هؤلاء المواطنين الشرفاء الذين حدثتك عنهم . وسيزج بالرجل فى السجن طبعا ولكن عندما يخرج سيجد تحت يديه ثروة صغيرة لا بأس بها . نعم ... انها طريقة جديدة فى السرقة ولكن ليس فيها أى ذكاء وفى مقدورى أن أفعل أفضل من ذلك ... تأتى على بعض الأوقات يا هاستنجز أندم فيها على اننى ولدت شريفا نزيها . انه لمن الأمور المستحبة أن يعمل الانسان ضد القانون ، على سبيل التغيير .

ــ دعك من هذه الأفكار السوداء يا بوارو فانت تعرف انك فريد فى مجالك .

ــ أجل ... ولكن ماذا يوجد امامى الآن فى هذا المجـال .

ابتسمت لغروره والتقطت الجريدة وقلت :

ــ هناك رجل انجليزى لقى مصرعه بطريقة غامضة فى هولندا .

ــ هكذا يقولون دائما ثم لا يلبثون أن يكتشفوا بعد ذلك انه تناول سمكا محفوظا وانه مات موتة طبيعية .

ــ طبعا ، هذا اذا كان ولابد ان تكون سيء النية .

صاح بوارو ، وكان قد اقترب من النافذة :

— آه ... أرى فى الشارع امرأة من ذلك الطراز الذى ينعتون بالمرأة الغامضة المحجبة ... انها تصعد الدرجات الأمامية للبيت وتدق الجرس ... انها قادمة لاستشارتنا ... لعلها تأتينا بقضية هامة ، فعندما تكون المرأة بمثل هذا الجمال فانها لا تحجب وجهها الا لسبب هام .

وبعد لحظات أدخلت صاحبة البيت الزائرة ،وكانت كما قال بوارو تخفى تقاطيع وجهها تحت نقاب سميك . ولم نستطع أن نميز ملامحها الا عندما رفعت نقابها الكريب الأسود ، واستطعت أن الحظ عندئذ أن بوارو قد أصاب فى حدسه ، فقد كانت المرأة شـابة فائقة الجمال لها شعر أشقر وعينان واسعتان زرقاوتان . واستنتجت على الفور من ثيابها البسيطة المتقنة انها تنتمى الى الطبقة الراقية .

قالت فى صوت عذب جميل :

— مستر بوارو ... اننى أعانى مشاكل كبيرة وأكاد لا أصدق أنه قد يكون فى مقدورك مساعدتى . غير اننى سمعت عنك الكثير ولهذا قدمت اليك كملجأ أخير ألتمس منك أن تبذل المستحيل .

قال بوارو : المستحيل ... هذا هو الذى يروق لى دائما ... أرجوك أن تستمرى يا آنسة .

ترددت زائرتنا الجميلة فقال بوارو :

— ولكن يجب أن تكونى صريحة والا تخفى عنى شيئا .

قالت الفتاة فجأة :

— اننى سأضع ثقتى فيك . هل سمعت عن الليدى ملليسنت كاسل فوجان ؟

رفعت عينى وقد ثار اهتمامى فجأة . ذلك ان خطوبة

الليدى ملليسنت أعلنت للدوق اوف ساوشاير منذ أيام قلائل . والليدى ملليسنت كما أعرف هى الابنة الخامسة لأحد النبلاء الايرلنديين المعدمين فى حين كان الدوق اوف ساوشساير واحدا من أغنى شباب انجلترا .

واستطردت الفتاة تقول :

ــ أنا الليدى ملليسنت ، ولعلك قرأت اعلان خطوبتى . كان يجب أن أكون أسعد فتاة على وجه الأرض ، ولكننى شديدة القلق والانزعاج يا مستر بوارو ... فهناك رجل ... رجل فظيع ... اسمه لافنجتون ... وهو ... لا أدرى كيف أقول لك ذلك ... هناك رسالة كتبتها ولم يكن عمرى عندئذ يتجاوز السادسة عشرة ... وهو ... انه ...

ــ رسالة كتبتها للمدعو لافنجتون ؟

ــ اوه ، كلا لم أكتبها له وانما لجندى شاب ... كنت أحبه كثيرا ، وقد مات فى الحرب .

قال بوارو فى رفق : فهمت .

ــ كانت رسالة سخيفة ... رسالة متهورة ولاشىء أكثر من ذلك حقا يا مستر بوارو ، ولكنها تحتوى لسوء الحظ على بعض عبارات يمكن تأويلها الى غير معناها الحقيقى .

ـــ فهمت .. وهــذه الرســـالة فى حوذة مستر لافنجتون ؟

ـــ نعم . وهو يهددنى بارسالها الى الدوق ما لم ادفع له مبلغا ضخما أرانى عاجزة تماما عن تدبيره.

صحت : تبا له من خنزير وقح ... أرجو معذرتك يا ليدى ملليسنت .

ـــ اليس من الحكمة أن تعترفى بكل شىء لخطيبك ؟

ـــ لا اجرؤ على ذلك يا مستر بوارو . ان الدوق رجل شديد الغيرة ومتشكك جدا ويميل الى تصديق أسوأ الأمور . سيكون من الأسهل أن أفسخ خطوبتى على الفور .

قال بوارو وقد ارتمست على وجهه تعبيرات ذات دلالة خاصة :

ـــ آه ... وماذا تريدين منى أن أفعل يا آنسة ؟

ـــ خطر لى اننى قد أستطيع أن أطلب من مستر لافنجتون أن يأتى لمقابلتك . سأقول له اننى خولتك كل سلطة لكى تتفاوض معه نيابة عنى ... فربما تستطيع أن تخفض المبلغ الذى يطلبه .

ـــ وكم يطلب ؟

ـــ عشرين الف جنيه ... وهذا مستحيل . بل اننى لا أظن اننى أستطيع أن أدبر الف جنيه .

ـــ لا شك فى انك تستطيعين اقتراض المبلغ بضمان زواجك المقبل . ولكن ... حسنا ... اننى أكره أن أراك تدفعين ... كلا . ان عبقرية هركيول بوارو ستقهر اعداءك . ارسلى الى هذا المدعو لافنجتون . هل تظنين انه يحمل الرسالة معه ؟

هزت الفتاة رأسها وقالت :

ـــ لا أظن ذلك فهو حريص جدا .

ـــ أظن أنه ليس هناك أى شك فى ان الرسالة معه حقـــا ؟

ـــ انه عرضها على عندما ذهبت لمقابلته .

ـــ هل ذهبت لمقابلته ؟ لم يكن ذلك عملا حريصا منك يا سيدتى .

ـــ حقا ؟ ... كنت شديدة اليأس ، وكنت أرجو أن أتمكن من أن ألين قلبه

ـــ آه ... أن أمثال لافنجتون فى هـــذا العالم لا نلين قلوبهم بالتوسلات ولا ريب انه اعتبرها كدليل على الأهمية التى تعلقينها على هذه الرسالة . أين يقيم هذا الرجل الكريم ؟

ـــ فى بوينا فيستا بومبلدون ... ذهبت اليه عند هبوط الليل .

زمجر بوارو فى حين استطردت هى تقول :

ــ وقد انتهى بى الأمر الى اننى هددته بأننى سأذهب الى رجال البوليس واعترف لهم بكل شىء ، ولكنه راح يتهكم على فى خبث وقال « ولم لا يا عزيزتى الليــدى ملليسنت ؟ اذهبى اليهم اذا شئت » .

تمتم بوارو : نعم ... هذه القضية ليست قطعا من اختصاص البوليس .

وقالت الليدى : وقد أردف قائلا : « ولكننى أعتقد انك ستلتزمين جادة العقل ... انظرى ... ها هى رسالتك ... فى هذا الصندوق السرى الصينى » .

وادنى الصندوق منى لكى أراه ، وحاولت أن أنتزعه منه ولكنه كان أسرع منى فقد طوى الرسالة وهو يبتسم ابتسامة بشعة ثم وضعها فى الصندوق الخشبى الصغير وقال انها فى أمان هنا ، وانا أخفى هذا الصندوق فى مكان سرى لا يمكن أن تعرفيه أبدا وانتقلت عيناى الى الخزانة الصغيرة التى فى الحائط ولكنه هز رأسه وقال مزمجرا : ان لدى مخبأ أكثر أمانا ... اوه ، ما كان أبغضه ! هل تظن انك تستطيع مساعدتى .

ــ ضعى ثقتك فى بابا بوارو . سوف اهتدى الى طريقة .

وشيع بوارو زائرته مجاملا حتى أسفل الدرج فى حين رحت أحدث نفسى وأقول انه لجميل ان يطمئنها بمثل هذه الثقة ، رغم ما خيل لى من اننا أمام معضلة عويصة وأطلعت بوارو على رأيى عندما عاد ولكنه هز رأسه وقد تجهمت أساريره وقال :

ـ نعم . ان الحل لا يبدو سهلا . ان مستر لافنجتون يملك المبادأة فى الوقت الحالى ولا أدرى كيف نستطيع أن نتغلب عليه .

واقبل مستر لافنجتون للقائنا بعد ظهر ذلك اليوم فعلا . ولم تتعد الليدى مليسنت الحقيقة عندما وصفته بأنه شخص فظيع بشع . وقد أحسست برجفة حقيقية وتمنيت لو ان أركله بطرف حذائى وألقى به من فوق السلم .

كان رجلا متبجحا لا يحتمل ولم يكف عن التهكم والسخرية على اقتراحات بوارو الرقيقة . واظهر بطريقة عامة أنه سيد الموقف ، ولم يسعنى الا أن أفكر فى أن بوارو لم يكن فى أحسن حالاته فقد بدا مرهقا مكدودا . وقال لافنجتون وهو يتناول قبعته :

ـ حسنا يا سادة . يبدو اننا لن نصل الى نتيجة فعالة . هاكما شروطى . سأمنح الليدى مليسنت

تخفيضا لأنها امرأة شابة جميلة . لنقل اذن ١٨ ألف جنيه . اننى مسافر الى باريس اليوملعقد صفقة صغيرة وسأعود غدا . واذا لم يصلنى المبلغ حتى مساء يوم الثلاثاء فسأبعث بالرسالة الى الدوق . لا تقل لى ان الليدى ملليسنت لا تستطيع الحصول على هذا المبلغ فسيكون من دواعى سرور بعض أصدقائها أن يقرضها هذا المبلغ خاصـــة وان امرأة فى مثل جمالها لن تعدم وسيلة للحصول على ما تريد .

تقدمت خطوة الى الأمـــام ولكن لافنجتون كان قد اختفى . فصحت :

ــ يا له من وغد زنيم يجب ان نفعل شيئا . يبدو لى انك نائم تماما يا بوارو .

ــ ان لك قلبا كريما يا صديقى ولكن خلايا مخك فى حالة يرثى لها . . ليســـت بى أية رغبة فى استعراض مقدرتى أمام لافنجتون ، فكلما أعتقد اننى جبان رعديد كلما كان هذا أفضل .

ــ لمـــاذا ؟

قال بوارو فى تفكير :

ــ أليس من الغريب اننى كنت أفكر فى خرق القانون قبل قدوم الليدى ملليسنت بقليل !

هتفت أقول : انك لن تتسلل الى بيته أثناء غيابه ؟

ـــ انك تسرع فى الاستنتاج بطريقة غريبة ياهاستنجز

ـــ ولكن لنفرض أنه أخذ الرسالة معه .

هز بوارو رأسه وقال : هذا أمر بعيد الاحتمال ،فمن الواضح ان لديه مخبأ خفيا يعتقد فى استحالة الوصول اليـــه .

ـــ ومتى تنفذ ... ال ...

ـــ مساء الغد . سنخرج من هنا فى نحو الســـاعة الحادية عشرة .

وفى الساعة المحددة كنت على أتم الاستعداد ، فقد ارتديت ثيابا داكنة ووضـــعت على رأسى قبعة رخوة وابتسم بوارو فى رفق وقال :

ـــ أرى انك ارتديت ثياب العمل . هلم بنا نستقل المترو الى ويمبلدون .

ـــ الن نأخذ معنا شيئا ؟ ... أدوات لاغتصاب الباب مثلا ؟

ـــ كلا يا عزيزى هاســـتنجز . ان هركيول بوارو لا يستخدم هذه الأساليب الوضيعة .

وعندما دخلنا حديقة بونيا فيســـتا كان الليل قد

انتصف . وكان البيت ســـادرا فى الظلام يخيم عليه السكون . ومشى بوارو على الفور الى نافذة خلف البيت ودفعها فانفتحت بدون أن يصدر منها صوت وأشار الى أن ادخل .

تمتمت أقول وقد بدا لى الأمر غريبا :

ــ وكيف عرفت ان هذه النافذة مفتوحة ؟

ــ لأننى مهدت الطريق صباح اليوم .

ــ وكيف ذلك ؟

ــ اوه ، كان ذلك فى منتهى السهولة ، فقد تقدمت ومعى بطاقة رسمية من بطاقات المفتش جاب وأخرى تحمـــل اســـما زائفـــا وقلت اننى موفـــد من ادارة سكوتلانديارد لوضـــع جهاز أمان ضـــد السرقة على النوافذ طبقا لتعليمات مستر لافنجتون . وقد استقبلنى البواب بحماس اذ يبدو أنه وقعت أخيرا محـــاولتان السرقة ، ومن الواضح أن فكرتنا هذه قد طرأت قبل ذلك لبعض عملاء مستر لافنجتون .وان لم تسفر المحاولة عن ضياع شىء ذى قيمة . وقد فحصت جميع النوافذ وتدبرت الأمر ثم طلبت من البواب أن لا يلمس أى شىء قبل صباح الغد لأن النوافذ مزودة بتيار كهربائى شديد ثم انصرفت فى هدوء :

ــ انت مدهش حقا يا بوارو .

ــ ولكنه عمل صبيانى يا صديقى .. والآن ، هلم بنا

الى العمل . ان الخدم ينامون فى الطابق الأخير وليست هناك أية مجازفة فى أن نوقظهم .

ــ أظن ان الخزانة الحديدية مدفونة فى مكان ما من الحائط .

ــ الخزانة الحديدية ؟ ... هراء يا صديقى .ليست هناك أية خزانة حديدية . ان مستر لافنجتون رجل ذكى . وسترى انه اهتدى الى مخبأ أكثر فعالية . ان الخزانة هى أول مكان يخطر للمرء أن يبحث فيه .

وعلى هذا بدأنا البحث فى عناية فائقة . ولكن بعد ساعات طويلة من التنقيب والتفتيش فى أرجاء البيت كنا ما نزال عند نقطة البداية . ورأيت بوادر الغضب تتجمع فى وجه بوارو وقال :

ــ آه . يا الهى ! ... لا يمكن أن يفشل هركيول بوارو ؟ ... كلا ... لا يمكن هذا أبدا . لنخلد الى الهدوء والتفكير بروية ... لنستخدم خلايا مخنا كما يجب .

وفكر بضع لحظات وهو عابس الأساريرلفرط تركيزه ثم ومض فى عينيه ذلك البريق الأخضر الذى أعرفه تمام المعرفة وقال :

ــ ما أغبانى ! ... المطبخ !

صحت : المطبخ ! ... ولكن هذا مستحيل ... والخدم ؟

ــ تماما . هذا ما يطرأ للناس ولهذا السبب بالذات فان المطبخ هو المكان الذى يجب أن نفحصه جيدا . انه مكتظ بالأدوات من كل نوع . هلم بنا الى المطبخ .

تبعته وانا غير واثق تماما . ورأيته يدفع يده فى صندوق الخبز ويشم الأوانى ويدخل رأســـه فى فرن المطبخ . واستولى التعب وانا أنظر اليه وهو يفعل ذلك فعدت الى المكتب . كنت مقتنعا بأننا سنجد المخبأ المنشود هناك وهناك فقط . وبحثت فى عناية بالغة واذ رأيت أننا بلغنا الساعة الرابعة والربع وان ضوء النهار لن يلبث أن يبزغ عدت الى المطبخ ثانية .

وما كانت أشد دهشتى وأنا أرى بوارو واقفا وسط كومة من الفحم يحاول أن يرفع أطراف سراويله . وقطب حاجبيه وقال :

ــ نعم يا صديقى . ليس من عادتى أن أهمل ثيابى ولكن ماذا تريد ؟

ــ مهما يكن فان لافنجتون لا يمكن أن يدفن الصندوق فى الفحم .

ــ اذا استخدمت عينيك جيدا فسترى اننى لا أهتم بالفحم .

ورأيت عندئذ بعضا من كتل الخشب الضخمة التى تستعمل للوقود مكدسة فوق رف خلف كومة الفحم . وقد أنزلها بوارو واحدة واحدة فى حذر ولم يلبث ان أطلق صيحة دهشة وقال :

ـ اعطنى مطواتك يا هاستنجز .

وأعطيته اياها فأدخل نصلها فى احدى الكتل الخشبية فانشطرت قسمين . كانت الكتلة قد عولجت بمهارة واحدث بها تجويف أخرج بوارو منه صندوقا صغيرا صينى الصنع .

صحت أقول : مرحى !

ـ اخفض صوتك يا هاستنجز . تعال . هلم بنا قبل أن يطلع النهار .

ودس الصندوق فى جيبه ثم وثب فى خفة من فوق كومة الفحم ونفض بنطلونه بقدر ما استطاع . وبعد أن خرجنا من البيت كما دخلنا مضينا سراعا عائدين الى لندن .

صحت أقول : ـ ياله من مكان غريب ! كان فى الامكان أن يستخدم أحد الخدم هذه الخشبة .

ـ فى شهر يوليه يا هاستنجز ؟ ... ثم انها كانت أسفل الخشب كله . انه مكان جميل . آه ... هاهى

ذى سيارة اجرة . هلم بنا الى البيت ... سأغتسل وانام لأعوض ما فاتنى .

* * *

نمت حتى وقت متأخر متأثرا بمغامرة الليلة السابقة وعندما ذهبت الى الصالون أخيرا كان الوقت ظهرا، أدهشنى ان أرى بوارو جالسا فى مقعده والصندوق الصينى مفتوح بجواره وكان يقرأ فى هدوء الرسالة التى أخرجها منه .

ابتسم لى ابتسامة رقيقة وهو يربت بأصابعه على الرسالة التى يمسكها فى يده ثم قال :

— ان الليدى ملليسنت كانت على حق . ما كان الدوق ليصفح عن مثل هذه الرسالة . انها تضم أجرأ عبارات الحب التى قرأتها فى حياتى .

قلت : الواقع يا بوارو انه ما كان يحق لك أن تقرأ هذه الرسالة فهذا أمر من الأمور التى لا يجب الاتيان بهـا .

أجابنى صديقى برباطة جأش :

— ولكن هركيول بوارو يأتى بها .

وأردفت : وثمة شيء آخر . اظن ان استخدامك لبطاقة جاب لم يكن لعبة شريفة .

ــ ولكننى لم أكن العب يا هاستنجز . اننى كنت أحاول حل قضية .

هززت كتفى وأنا أقول لنفسى أن هذه وجهة نظر

قال بوارو : اسمع وقع أقدام على السلم . لاريب انها الليدى ملليسنت .

دخلت زائرتنا الجميلة وعلى وجهها أمارات القلق لم تلبث أن تبدلت الى فرح كبير عندما رأت الرسالة والصندوق اللذين يمسكهما بوارو وصاحت :

ــ اوه ! ... مستر بوارو ! .. ما أروع هذا ؟... كيف تمكنت ؟

ــ بطريقة غير مشروعة تماما يا سيدتى الليدى . ولكن مستر لافنجتون لن يتقدم بأى شكوى . هذه هى رسالتك ، اليس كذلك ؟

ألقت على الرسالة نظرة سريعة ثم قالت :

ــ نعم . لا أدرى كيف أستطيع أن أشكرك . أنت رجل مدهش حقا . أين كان يخفيها .

أخبرها بوارو بما تريد فقالت :

ــ ما أشد ذكائك !

وأخذت الصندوق الصغير من فوق المائدة وقالت :
ـــ سأحتفظ به للذكرى .

ـــ ولكننى كنت أرجو أن تسمحى لى بالاحتفاظ به يا سيدتى ... للذكرى كذلك .

ـــ أرجو أن أرسل اليك صندوقا غيره أفضل منه بكثير فى يوم زواجى . اننى لست جاحدة أو ناكرة للجميل يا مستر بوارو .

ـــ ان سرورى بأننى أسديت اليك خدمة لاكبر بكثير من شيك تقدمينه لى . ولهـــذا أرجو أن تسمحى لى بالاحتفاظ بهذا الصندوق .

قالت ضاحكة : اوه كلا يا مستر بوارو ... يجب أن آخذه حقا .

ومدت يدها ولكن بوارو منعها قائلا وقد تغير صوته:
ـــ لا أعتقد ذلك .

قالت وقد بدا شابت صوتها رنة من القسوة فجأة :
ـــ ماذا تعنى ؟

ـــ اسمحى لى أن أفرغه مما فيه أولا ... سترين ان به تجويفا خاصا يشطره الى قسمين ... فى القسم العلوى الرسالة الباعثة على الشبهة وفى القســـم السفلى ...

واتى بحركة سريعة ثم فتح يده فاذا فى كفه أربعة أحجار براقة ولؤلؤتين كبيرتين فى بياض اللبن .

وتمتم : اظنها المجوهرات المسروقة أخيرا من شارع بوند . سيؤكد لنا جاب ذلك .

ولدهشتى الكبيرة خرج جاب بنفسه من غرفة بوارو ، وقال هذا الأخير يخاطب الليدى ملليسنت فى لهجة رقيقة :

ـ اعتقد أنه صديق قديم لك .

صاحت الليدى ملليسنت وقد تغيرت لهجتها :

ـ يا الهى ... لقد افتضح أمرى ... ايها المخبر القذر !

ونظرت الى بوارو فى خوف لا يخلو من الاعجاب ، فى حين قال جاب :

ـ حسنا يا جيرتى يا صغيرتى ، انتهت اللعبة . ومع ذلك فقد سبق أن التقينا منذ وقت ليس بعيدا . لقد القينا القبض على صديقك كذلك ، ذلك الذى أقبل هنا أمس منتحلا اسم لافنجتون . أما هذا الأخير وهو ينتحل أيضا اسم كروكر واسم ريد فاننى اتساءل من منكما الذى طعنه فى هولندا .كنتما تظنان ان المجوهرات معه ولكنها لم تكن كذلك ... انه مكر عليكما طبعا ...

وذلك بأن أخفاها فى بيته . وقد أرسلتما برجلين للبحث عنها ثم لجأت بعد ذلك الى مستر بوارو لكى يقوم لك بذلك وشاءت الصدفة أن يعثر عليها .

أجابت الليدى ملليسنت مذعورة :

ـ انك تحب القاء المحاضرات ... حسنا ، سأتبعك فى هدوء الآن فلا يمكن أن يقال عنى اننى لست سيدة مهذبة . طاب يومكما أيها السيدان .

قال بوارو وانا لا أزال تحت وقع الدهشة بحيث لم أستطع أن انطق بكلمة .

ـ لم يكن حذاؤها لائقا بها . اننى قمت بدراسة عادات مواطنيك الانجليز . يا هاستنجز أن سيدة تنتمى الى الطبقة الراقية تحرص دائما على التوفيق فى اختيار أحذيتها . يمكنها أن ترتدى ما تشاء من ثياب ولكنها تحرص دائما على أن يكون حذاؤها مناسبا . ولكن الليدى ملليسنت كانت على العكس من ذلك ترتدى ثيابا أنيقة غالية وحذاء رخيصا . وكان هناك احتمال ضئيل فى أن أعرف أنا أو انت الليدى ملليسنت الحقيقية ، فقد أقبلت لقضاء أيام قلائل فى لندن ، وهذه الفتاة تشبهها بعض الشبه . وكما قلت كان الحذاء هو الذى أثار شكوكى فى بادىء الأمر ثم ايدت قصتها هذه الشكوك ... وحجابها ... فكل هذا كان يبدو غريبا بعض الشىء ، أليس كذلك ؟ . ان الصندوق الصينى والرسالة الزائفة المثيرة للشبهة فى القسم العلوى منه أمر كان

معروفا للعصابة ، ولكن كتلة الخشبة كانت فكرة خاصة بالفقيد مستر لافنجتون . وثمة شيء آخر يا هاستنجز هو أن لا تبدأ بأن تثير شجوني كما فعلت بالأمس عندما ادعيت أنني لست مشهورا في أوســاط الجريمة . وها أنت ترى أن الأمر بلغ بهم الى حد اســتخدامي للاستعانة بي لقضاء أغراضهم .

كوميديا الفـــن

كان اشتراك صديقى هركيول بوارو رئيس البوليس البلجيكى الســـابق فى الكشف عن خبايا جريمة قصر ستايلس صدفة واتفاقا . وكان للنجاح الباهر الذى صادفه فيها سببا فى شهرته فكرس نفســـه لدراسة القضايا الجنائية والوقوف على غوامضها . . وعندما سرحت من الجيش بعد اصابتى فى معركة السوم ذهبت للاقامة معه فى لندن . ولما كنت أعرف أكثر القضايا التى اشترك فيها حق المعرفة فقد عرضوا على أن أختـــار بعضا منها وأكثرها أهمية وأسجلها فى كتاب . وارى أن أروع ما أبدأ به هذه السلسلة هو قضـــية معقدة أحدثت ضجة ودويا كبيرين فى حينها ، واعنى بهـــا قضية حفلة النصر الراقصة .

وليس هناك ما يميز هذه القضـــية عن غيرها من القضايا التى اهتم بها هركيول بوارو ، بل لعلها أقلها أهمية ولكن جوانبها الهامة والشخصيات التى دارت حولها والدعاية الضخمة التى اولتها الصحف لها ، كل هذا ساهم فى ان يجعل منها قضية مشـــهورة وكان اعتقادى ، منذ وقت طويل ، ان من العدل أن أكشف للجمهور عن الدور الحـــازم الذى لعبه بوارو فى فك طلاسمها .

فى صـــباح يوم جميل من أيام الربيع كنا نجلس فى مسكن بوارو ، وكان صديقى القصير شـــديد الاناقة كعادته ، وقد احنى رأسه قليلا وهو يعالج شـــاربيه ويصقلهما بدهان جديد . كان دائم العناية بنفسه ، شديد الحرص على اناقته حرصه على النظام والتخطيط.
وكانت جريدة الديلى نيوزموجر التى كنت اقرأها قد سقطت منى على الأرض ، وكنت غارقا فى تأملاتى عندما انتشلنى منها صوت بوارو قائلا :

ـــ فيم تفكر هذا التفكير العميق يا صديقى .

أجبت : الواقع اننى أفكر فى قضـــــية حفلة النصر الراقصة ، وهى قضية مثيرة أســـهبت الجـــرائد فى الحديث عنها .

ـــ حقا ؟

عدت أقول فى حماس : ـــ وكلما قرأتها كلما غابت عنى خفاياها . . فمن الذى قتل اللورد كرونشو وهل كان موت كوكو كورتناس فى نفس تلك الليلة مجرد مصادفة ؟ أم تراها راحت ضحية حادث وقع قضـــاء وقدرا ؟ أم تراها ازدردت كمية كبيرة من الكوكايين قضت عليها .
وأمسكت لحظة ثم أردفت أقول فى لهجة مسرحية :

ـــ تلك هى الأسئلة التى كنت القيها على نفسى .

وما كانت أشد دهشتى عندما رأيت بوارو يتأملنى خلال المرآة ثم يقول :

ـــ يقينا ... هذا الدهان الجديد مدهش للشارب.
ثم التقت عينانا فأردف يقول على الفور :
ـــ وهل وجدت الرد على هذه الأسئلة ؟

لم يسعفنى الوقت لكى أرد فقد فتح الباب وأعلنت صاحبة المسكن عن قدوم المفتش جاب وصاح بوارو :
ـــ عزيزى جاب .. ما الذى أتى بك ؟

قال جاب وهو يحيينى ويجلس : ـــ

ـــ اذا أردت الحق يا مســــتر بوارو فاننى مهتم بقضية تبدو لى من اختصاصك وأتيت أسألك اذا كنت تقبل أن تدلى فيها بدلوك .

كان بوارو يقدر كفاءة جاب وان كان يعتب عليه افتقاره الى النظام . أما أنا فمن رأيى أن مقدرة هذا المفتش الكبيرة هى فى استطاعته الحصول على ما يريد من خدمات متظاهرا بأنه هو الذى يقدمها

قال جاب فى صوت رقيق جذاب :
ـــ انها تلك الحفلة الراقصة التى أقيمت بمناسبة النصر . اننى واثق انك ستحب أن تلقى نظرة على هذه القضية .

رمانى بوارو بنظرة ذات مغزى وهو يقول :

ـــ سيروق ذلك لصديقى هاستنجز على كل حال ، فقد حدثنى عنها الان بالذات ، أليس كذلك ياصديقى ؟

خاطبنى جاب فى تسامح قائلا :

ـ حسنا يا مستر هاستنجز ، سوف تشترك معنا انت أيضا فى هذه القضية ، ولك أن تزهو وتفخر بأنك أول من يعرف حقائقها وتفاصيلها . ولكن لننتقل الى الوقائع . أظن انك تعرف العناصر الأساسية يا مستر بوارو ؟

ـ لا أعرف اكثر مما ذكرته الجرائد وانت تعلم أن خيال المحررين يشط أحيانا . اذكر لى القصة كلها .

عقد جاب ساقيه فى ارتياح وبدأ يقول :

ـ أقيمت حفلة النصر الراقصة الكبرى يوم الثلاثاء الماضى كما يعرف الجميع ، وفى أيامنا هذه نجدهم يصفون أقل الحفلات الراقصة بأنها حفلة كبرى ، ولكن الحفلة التى نحن بصددها تستحق هذه الصفة حقا ، فقد دارت فى كولوسوس هول وكانت لندن كلها حاضرة وخاصة اللورد كرونشو الشاب ومدعووه .

ـ ومن هو اللورد كرونشو هذا ؟

ـ هو خامس لورد بهذ االاسم ، وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، ثرى وأعزب يحب دنيا المسرح كثيرا . وقد دار الهمس بأنه خطيب مس كورتناس الممثلة بمسرح البانى والمشهورة باسم « كوكو » ، وهى امرأة شابة على جانب كبير من الجمال .

ـ حسنا .. استمر .

ـ كانت جماعة اللورد كرونشو تتكون من ستة أشخاص .. هو نفسه ثم عمه النبيل أونستيس بلتين

وأرملة أمريكية حسناء تدعى مسز مالابى ، وممثل شاب يدعى كريس دانيدسون وزوجته ، وأخيرا مس كورتناس الممثلة المعروفة . وكانت الحفلة الراقصة من الحفلات التنكرية كما تعرف ، وقد تنكر كرونشو وأصدقاؤه وبدا كل منهم فى شخصية من شخصيات الكوميديا الايطالية القديمة ، وأظنك تعرف ما أعنيه .

قال بوارو : — نعم .. كوميديا الفن ..

— وقد نقلوا الثياب التنكرية عن عرائس من الخزف موجودة فى مجموعة تحف مستر أوستيس بتين وتمثل الشخصيات الستة للكوميديا المذكورة .. وتنكر اللورد كرونشو فى شخصية المهرجوبليتن فى شخصية بوليشينيل أما مسز مالابى فظهرت فى شخصية بولشينيلا ، وظهر آل دافيدسون فى شخصيتى بييرو وبييريت ، وتنكرت مس كورتناى فى شخصية كولومبين . ومنذ بداية الحفلة كان ظاهرا أن هناك شيئا لا يجرى على ما يرام فقد كان اللورد كرونشو عابس الأسارير وكان يسلك سلوكا غريبا . وعندما انضمت الجماعة لتناول طعام العشاء فى غرفة خاصة كان المضيف قد حجزها لهذا الغرض لوحظ أن هذا الأخير ومس كورتناى لم يتبادلا كلمة واحدة .. وكان من الواضح أن مس كورتناى قد بكت وبدت فى أقصى حالات الانفعال . وكان الجو متوترا أثناء تناول الطعام وعندما غادروا الغرفة أخيرا تحولت كوكو الى كريس دافيد سون وطلبت منه بصوت سمعه الجميع أن يمشى بها الى بيتها لأنها سئمت هذه الحفلة .. وتردد الممثل الشاب ونظر الى اللورد كرونشو

واخيرا طلب منهما أن يعودا الى الصالون .

ولكن مجهوداته فى سبيل الوفاق راحت عبثا فاستدعى سيارة أجرة ورافق مس كورتناى حتى بيتها ، وكانت لا تزال تبكى . وعلى الرغم من انها كانت شديدة الانفعال فانها لم تفصح عن شىء لزميلها ، واكتفت بأن قالت أن كرونشو العجوز سوف يدفع لها الثمن .

كانت تلك العبارة هى الوحيـــدة التى حملتنا على الظن بأن موتها لم يكن قضاء وقدرا ، وان كان ذلك دليلا واهيا بالطبع . وعندما أفلح دافيدسون فى تهدئتها أخيرا كان الوقت قد تأخر لكى يعود الى كولوسس هول فعاد الى بيته فى شلى . ووصلت زوجته بعده بقليل واخبرته بنبأ المأساة المروعة التى أدمت الحفلة بعد انصرافه .

« فيبدو ان اللورد كرونشو كان كلما تقدم الوقت يزداد كآبة وتجهما بالراقصين والراقصـــات . كان يتجنب أصدقاءه ولم يروه الا نادرا بقية الحفلة ، وفى نحو الساعة الواحـــدة . أى قبل الرقصـــة الاخيرة بالذات ، وهو الوقت الذى يجب أن يخلع فيه كل من الراقصين والراقصات قناعه ، رآه أحد أصـــدقائه ويدعى الميجور ديجبى ، وكان يعرف الثوب الذى يتنكر فيه ، رآه يقف فى احدى المقصورات ينظر الى المدعوين فصاح به :

ـ هالو كرونشى ! .. ماذا تفعل وحدك كالبومة المحنطة ... اهبط وانضم الينا .

« وأجابه كرونشـــو : حســـنا . ولكن انتظرنى مكانك والا فلن إهتدى اليك وسط هذا الحشد .

« واســـتدار وغادر المقصـــورة وهو ينطق بهذه الكلمات . وانتظر الميجـــور ديجبى ، وكانت مســـز دافيدسون برفقتـــه . ومرت الدقائق دون أن يظهر اللورد كرونشو . وفرغ صبر الميجور أخيرا فقال :

ـ هل يظن اننا سننتظره طوال الليل ؟

وفى هـــذه اللحظة انضمت مســـز مالابى اليهمـــا فأطلعاها على الموقف ، وقالت الأرملة الجميلة :

ـ ان كرونشو المسكين كالروح الهائمة الليلة . هلموا بنا نبحث عنه .

وانطلقوا يبحثون عنه ولكنهم لم يقفوا له على أثر . وأخيرا قالت الليدى مالابى أنه ربما يكون فى الغرفة التى تناولوا فيها الطعام منذ ساعة فمضوا اليهـــا وراعهم المنظر الذى طالعهم عندئذ فقد رأوا المهـــرج طريحا فوق الأرض وفى صدره سكين المائدة . »

أمسك جاب ورفع بوارو رأسه وقال فى لهجة الخبير المعتد بنفسه :

ـ قضية جميلة ، وليس هناك أى دليل طبعا . بل لا أرى كيف يكون هناك أى دليل .

وعاد المفتش يقول بعد لحظة :

ـــ حسنا . انك تعرف الباقى . كانت المأساة مزدوجة ، ففى صباح اليوم التالى صدرت الجرائد وفى صفحاتها الأولى عناوين ضخمة تقول ان مس كورتناى الممثلة المعروفة وجدت ميتة فى فراشها وان سبب موتها أنها تناولت كمية كبيرة من الكوكايين ، فهل كانت الوفاة قضاء وقدرا أم انها كانت انتحارا ؟ وباستجواب خادمتها اعترفت بأن مس كورتناى كانت تدمن تعاطى ذلك المخدر وانتهى المحقق الى اعتبار الوفاة قضاء وقدرا . ولكن لا يمكننا مع ذلك استبعاد احتمال كون الأمر انتحارا . وقد جاء موتها أمرا محزنا لأنه منعنا من معرفة السبب فى الشجار الذى جرى فى الليلة السابقة . وبهذه المناسبة ، عثرنا مع اللورد كرونشو على علبة صغيرة من الخزف نقش على غطائها من الداخل اسم كوكو بأحرف من الماس . وكانت العلبة نفسها مملوءة الى النصف بمسحوق الكوكايين . وقد اعترفت خادمة مس كورتناى بأن العلبة ملك لسيدتها وأنها لم تكن تفارقها أبدا . لأنها تحتوى على زادها من الكوكايين ، وهو زاد أصبحت لا تستطيع الاستغناء عنه .

ـــ وهل كان كرونشو مدمنا ؟

ـــ على العكس . كانت له آراء متشددة فى المخدرات والمدمنين .

هز بوارو رأسه مفكرا وقال :

ـــ ولكن ما دامت العلبة كانت معه فهذا يدل على

أنه لم يكن يجهل ان مس كورتناى كانت تتعاطى المخدرات ... هذا أمر له معناه . أليس كذلك يا عزيزى جاب ؟

قال جاب فى غموض : — آه !

ابتسمت فى حين عاد المفتش يقول :

— حسنا ... هذه هى القضية ، فما رأيك .

— ألم تجد أى أثر آخر لم تذكره لنا ؟

— بلى ... هذا .

وأخرج من جيبه شيئا صغيرا ناوله لبوارو . كان عبارة عن شرابة من الحرير الأخضر الزمردى ، وكانت بعض خيوطها مدلاة كما لو أن بعضهم قد انتزعها فى عنف . وقال :

— وجدناها فى يد القتيل ، وكان يطبق عليها بين أصابعه .

أعاد بوارو الشرابة اليه وقال :

— هل كان للورد كرونشو أعداء ؟

— لم يكن له أى اعداء بقدر ما نعلم . كان يبدو محبوبا جدا .

— ومن الذى يستفيد من موته ؟

— عمه ، النبيل اوستيس بلتين ، فهو يرث اللقب والأملاك . وهناك حقيقة أو حقيقتان تجعلنا نشتبه فى أمره ، فان شهودا كثيرين يقولون أنهم سمعوا فى

الغرفة الصغيرة التى تناولوا فيها العشاء مشادة عنيفة كان مستر بلتين أحد أطرافها ، ولابد أنك ترى معنى هذا . فالسكين التى أخذها القاتل من فوق المائدة تدل على أن الجريمة ارتكبت فى ثورة غضب واثناء مشاجرة .

— وماذا يقول مستر بلتين .

— أن أحد الخدم ذكر أنه كان ثملا وانه عنفه . ثم أن الساعة كانت عندئذ أقرب الى الواحدة صباحا منها الى الواحدة والنصف . وكما ترى فان شهادة الكابتن ديجب تثبت ساعة الجريمة بالتحديد ، فلم تكن قد مضت أكثر من عشر دقائق على اللحظة التى تحدث فيها مع كرونشو واللحظة التى اكتشفت فيها جثة هذا الأخير .

— على كل حال فاننى أعتقد أن مستر بلتين ، وهو متنكر فى شخصية برليشينيل ، كان يحمل حدبتين ، واحدة من الأمام والأخرى من الخلف .

قال جاب وهو ينظر الى بوارو فى فضول :

— الحق اننى لا أعرف تفاصيل الثياب التنكرية ولا أرى لذلك اية أهمية .

— حقا ؟

وابتسم بوارو ابتسامة بها ظل من السخرية

واستطرد يقول فى رفق وعيناه تبرقان ذلك البريق الأخضر الذى أعرفه جيدا :

ــ توجد ستارة فى الغرفة التى تناولوا الطعام فيها طبعا ؟

ــ نعم ، ولكن ...

ــ ويوجد خلف هذه الستارة مكان يكفى لاختفاء رجل فيه ؟

ــ نعم . هناك خلوة صغيرة . ولكن كيف عرفت ذلك ؟ ... انك لم تذهب الى ذلك المكان يا مستر بوارو ؟

ــ كلا يا عزيزى جاب . اننى رأيت هذه الستارة فى ذهنى ، فان المأساة غير معقولة ويجب أن يكون الأمر معقولا دائما . ولكن ألم يأتوا بطبيب ؟

ــ جاءوا به فورا طبعا . ولكن لم تكن هناك أية فائدة ، فقد كانت الوفاة فورية .

هز بوارو رأسه فى شىء من فروغ الصبر وقال :

ــ نعم . نعم . اننى أفهم . هل أدلى الطبيب بشهادته أثناء التحقيق ؟

ــ طبعا .

ــ هل تكلم عن أعراض غريبة ؟ ... ألم يكن هناك شىء فى مظهر الجثة ... شىء بدا له غير طبيعى .

حدق جاب فى الرجل القصير وقال :

— لا أدرى الى أى شىء تهدف يا مستر بوارو ، ولكن الواقع انه لاحظ تيبسا وتوترا فى الأطراف لم يفهم سببه .

قال بوارو : — آه ... هذا أمر يدعو الى التفكير أليس كذلك ؟

ولكن بدا لى واضحا ان هذا الأمر لم يدع جاب للتفكير اذ قال :

— اذا كنت تشير الى سم ، فمن الذى يدس السم لرجل ثم يقتله بالسكين بعد ذلك بحق الشيطان ؟

قال بوارو فى هدوء : — هذا صحيح ... انه لأمر مضحك .

— هل هناك شىء تحب أن تراه بنفسك يا سيدى ؟ ... اذا أردت أن تفحص الغرفة التى اكتشفت فيها الجثة ...

هز بوارو كتفيه وقال : — ابدا ... انك ذكرت لى الشىء الوحيــد الذى يهمنى ... أعنى رأى اللورد كرونشو فى المخدرات والمدخنين .

— أليس هناك شىء تريد أن تراه حقا ؟

— بلى .

— وما هو ؟

ــ العرائس الخزفية التى أخــذت عنها الثيــاب التنكرية .

اتسعت عينا جاب دهشة وقال :

ــ حسنا . انك رجل غريب الأطوار

ــ هل يمكنك أن تدبر ذلك ؟

ــ تستطيع أن تأتى الآن فورا الى ميدان برلكى ، فان مستر بلتين ... بل ينبغى أن أقول الآن فخامة اللورد ... لن يعترض على ذلك .

* * *

انتقلنا على الفور فى سيارة أجرة . ولم يكن اللورد كرونشو الجديد موجودا فى بيته ، ولكن بناء على طلب جاب مضــوا بنا الى غرفة الخزف التى كانت تضم مجموعته من المجوهرات والتحف . ونظر جاب حوله كالتائه وقال :

ــ لا أرى كيف ستهتدى الى ما تبحث عنه يا مستر بوارو .

ولكن بوارو كان قد جر مقعدا أمام الموقد ووقف فوقه فى خفة ونشاط ، وعلى رف صغير فوق المرآة كانت هناك ستة تماثيل صــغيرة من الخزف فحصها بوارو فى عناية مبديا بعض الملاحظات .

ــ ها هى التماثيل الستة التى نقلت عن كوميديا الفن الايطالية ... ثلاثة ازواج ... المهرج وصاحبته كولوميت وبييرو وصاحبته بييريت ما ازهى هذا اللون الأخضر والابيض ــ وبولشينيل وصاحبته بولشينيللا باللون البنفسجى والاصفر ... ان ثوب بوليشينيلا معقد ، بحدبتيه وكشكشته والدانتللا التى يزدان بهــا وقبعته . نعم ، انه معقد جدا كما ظننت .

وأعاد التماثيل الصغيرة فى هدوء ووثب الى الأرض.

بدا جاب غير راض تماما ، ولكن لم يبــد على بوارو انه على استعداد لأن يفسر له أى شىء . واذ رأى جاب ذلك لم يسعه الا السكوت على مضض . وفيما نحن نتأهب للانصراف أقبل صاحب البيت . وقام جاب بواجب التعارف .

كان الفيكونت كرونشو السادس رجلا فى الخمسين من عمره ، حلو الطباع وسيم الوجه تدل تقاطيعه على حبه للملذات . كان من الواضح انه رجل ماكر وقد استقبلنا فى رقة وقال انه يعرف بالسماع مقدرة بوارو ووضع نفسه تحت تصرفنا وقال :

ــ اننى أعلم أن البوليس يبذل كل جهده . ولكننى أخشى مع ذلك أن يبقى سر مقتل ابن أخى مستغلقا الى الأبد فان الجريمة تبدو غامضة لا حل لها .

نظر بوارو اليه مدققا فى حدة وقال :

— هل تعرف لابن أخيك أعداء ؟

— ليس له عدو واحد وأنا واثق من ذلك .

وأمسك لحظة ثم استطرد :

— هل هناك اسئلة أخرى تريد القاءها ؟

قال بوارو فى هدوء :

— سؤال واحد ... هل نقلتم الثياب طبقا للتماثيل تماما ؟

— بادق ما فيها من تفاصيل .

— شكرا يا سيدى . هذا هو كل ما أردت معرفته. طاب يومك .

وقال جاب ونحن نهبط الى الشارع :

— يجب أن أعود الى سكوتلانديارد الآن .

— حسنا . لن احتجزك ... هناك شىء آخر يجب أن اهتم به ثم ...

— نعم ؟

— ... ثم أفرغ من القضية .

— ماذا تقول ؟ ... هل تمزح ؟ ... هل تعرف من الذى قتل اللورد كرونشو ؟

— تماما .

— من ... أهو اوستيس بلتين .

— آه يا صديقى ... انك تعرف نقطة الضعف فى ،

فاننى أحب أن احتفظ بجميع الخيوط فى يدى حتى آخر لحظة . ولكن لا تراع . سأذكر لك كل شىء فى حينه . اننى انوى طبعا أن اترك لك الفضل كله شريطة أن تدعنى أفرغ منها بطريقتى الخاصة .

قال جاب : — يبدو لى ذلك أمرا لا غبار عليه ، هذا اذا فرغت منها أبدا . ولكنك مستغلق كالبيضة تماما يا مستر بوارو (وهنا ابتسم بوارو) حسنا . الى الملتقى . اننى عائد الى سكوتلانديارد ..

وانصرف فى خطوات واسعة فى حين استدعى بوارو سيارة أجرة وسألته فى فضول كبير :

— أين نذهب الآن .

— الى شلى ... لزيارة آل دافيدسون .

وقلت أسأله بعد أن أعطى العنوان للسائق :

— ما رأيك فى اللورد كرونشو الجديد ؟

ولكنه أجابنى بسؤال آخر قائلا :

— ما رأيك أنت فيه يا هاستنجز ؟

— اننى ارتاب فى أمره كثيرا .

— هل تظن انه العم الشرير الذى يأتى ذكره فى الروايات كثيرا ؟

— وأنت ؟

قال بوارو فى تحفظ :

ـــ أنا ؟ . . . اننى وجدته رقيقا جدا فى معاملته لنا .

ـــ لاريب أن لهذا أسبابه .

نظر بوارو الى وهز رأسه فى حزن وتمتم ببضع كلمات بدت كما لو كان يقول : « لا يوجد تخطيط اطلاقا » .

* * *

كان مستر دافيدسون وزوجته يقيمان فى الطابق الثالث من عمارة لا بأس بها ، وكان كريس دافيدسون قد خرج أما مسز دافيدسون فكانت موجودة . ودخلنا فى غرفة كبيرة منخفضة السقف بها سجاد شرقى بعيد عن الذوق السليم ، وكان جو الغرفة مثقلا برائحة البخور الخانقة . وجاءت مسز دافيدسون لاستقبالنا على الفور . كانت امرأة قصيرة شقراء تبدو هشة لولا ذلك البريق الحذر الذى يلمع فى عينيها الزرقاوتين الحادتين .

وذكر لها بوارو دورنا فى القضية فهزت رأسها فى أسى وقالت :

ـــ مسكين كرونس . . . ومسكينة كوكو . . . كنا نحب كوكو كثيرا ، أنا وزوجى ، وقد أحزننا موتها

كثيرا . ماذا تريد أن تعرف ؟ هل يجب أن نعود الى احداث تلك الليلة الفظيعة حقا ؟

ــ اوه ، تأكدى يا سيدتى اننى لن ازعجك أبدا . . . ان المفتش جاب أطلعنى على كل ما أريد معــرفته ، ولكننى لا أريد الا أن أرى الثوب الذى كنت ترتدينه فى الحفلة .

بدت الدهشة على السيدة واستطرد بوارو يقول فى رقة واصرار :

ــ صدقينى يا سيدتى . . . اننى أعمل طبقا للنظام المتبع فى بلادى ، فنحن هناك نعيد تمثيل الجريمة ، ومن المحتمل أن أدبر عرضا مسرحيا، لتمثيل الاحداث. انك تدركين أهمية الثياب فى هذه الحالة .

بدت امارات الحيرة واضحة على مسز دافيدسون وقالت :

ــ اننى سمعت طبعا عن اعادة تمثيل الجريمة ، ولكننى لم أكن أعرف انك دقيق فى التفاصيل الى هذا الحد . . . سآتيك بثوبى حالا .

وغادرت الغرفة ولم تلبث أن عادت ومعهــا ثوب رقيق من الساتان الأبيض الأخضر وأخذه بوارو وبسطه وفحصه ثم اعاده اليها وهو يقول :

ــ شكرا لك يا سيدتى . أرى انك فقدت لسوء الحظ ، احدى شراباتك الخضراء ، تلك التى كان يجب أن تكون على هذا الكتف .

ـ نعم . انها انتزعت أثناء الحفـلة وقد التقطتها وأعطيتها للورد كرونشو لكى يحتفظ لى بها معه .

ـ هل كان ذلك بعد العشاء .

ـ نعم .

ـ قبيل ارتكاب الجريمة بقليل من غير شك ؟

برق فى عينى مسز دافيدسون الشاحبتين ومبض من القلق وأسرعت تقول :

ـ أوه ، كلا . بل قبلها بوقت طويل ، بعد العشاء على الفور .

ـ آه ، حسنا ، انتى فرغت . لن ازعجك أكثر من ذلك . طاب مساؤك يا سيدتى .

قلت ونحن نغادر البيت :

ـ ها قد جلونا سر الشرابة .

ـ اننى أتساءل ؟

ـ ماذا تعنى .

ـ الم ترنى وأنا أفحص الثوب يا هاستنجز .

ـ طبعا .

ـ حسنا . ان الشرابة الناقصة لم تنتزع كما قالت السـيدة وانمـا قطعت قطعـا ... قطعت بمقص يا صديقى ، فقد كانت الخيوط متساوية وواضحة .

ـ يا الهى ! ... ان الأمر يزداد تعقيدا .

أجاب بوارو فى هدوء :

— على العكس ... انه يزداد وضوحا .

صحت :

— بوارو . انى سأقتلك ذات يوم ... ان طريقتك فى اعتبار كل شىء سهلا جدا مثيرة للاعصاب الى حد كبير .

— ولكن الا يبدو كل شىء بسيطا جدا عندما أفسره ؟

— هذا ما يثيرنى ويزعجنى بالذات ... فاننى أشعر عندئذ بأنه كان يجب أن أهتدى الى الحل بنفسى .

— وفى مقدورك أن تفعل ذلك يا هاستنجز ... تستطيع ذلك اذا رتبت أفكارك كما يجب ... ولكنك لن تستطيع طبعا بدون نظام أو ترتيب .

وافقته على الفور ، لأننى كنت أعرف ذلاقته عندما ينطلق فى موضوعه المفضل ، وقلت :

— نعم ... نعم .. والآن ماذا نفعل ؟ ... هل ستعيد تمثيل وقوع الجريمة حقا ؟

— كلا بالطبع . لنقل أن المأساة قد انتهت واننى أنوى أن اضيف اليها مشهدا تهريجيا ... كنوع من الخاتمة ..

* * *

اختار بوارو يوم الثلاثاء التالى لتقديم مسرحيته

الغامضة ، وقد اثارت استعداداته حيرتى تماما ، فقد جاء بشاشة كبيرة بيضـــاء أقام على يمينها ويسارها ستائر سميكة وثبت الجميع فى ركن من الغرفة . وأقبل رجل يحمل بعض الأدوات الكهربائية تبعته جماعة من الممثلين اختفوا كلهم فى غرفة بوارو التى تحولت الى غرفة الفنانين مؤقتا .

وقبل الساعة الثامنة بقليل أقبل جاب ، ولم يكن معتدل المزاج . وادركت انه لايحبذ خطة بوارو ... وقال :

ـــ ان خططه كلها مثيرة ولكن لا ضرر منها . ويمكن القول بأنه يوفر علينا الكثير من العمل . انه ابدى ذكاء كبيرا فى هذه القضية . كنت سأصل الى نفس النتيجة طبعا (وهنا أحسست أن جاب يبالغ بعض الشىء) ولكننى وعدته ان ادعه يعمل وفقا لخطته . آه ... هاهم أصحابنا .

كان فخامة اللورد أول من أقبل وتبعته مسز مالابى ، ولم أكن رأيتها قبل ذلك . كانت سمراء جميلة تبدو عصبية بعض الشىء . وأقبل بعدها مستر دافيدسون وزوجته ، وكانت هـــذه أول مرة أرى فيهـــا كريس دافيدسون . كان شابا وسيما يلبس ثيابا زاهية ، طويل القامة ، اسمر البشرة له هيئة الممثلين المحترفين

وكان بوارو قد وضع المقاعد أمام الشاشة التى سلطت عليها الأنوار الساطعة . وأطفأ صديقى الأنوار الأخرى بحيث لم يبق مضيئا فى الغرفة سوى الشاشة أما باقى الغرفة فكان يسوده الظلام . وارتفع صوت بوارو يقول :

ـ سيداتى ، سادتى ... اسمحوا لى أن أوضح لكم ما سوف يدور الآن . سيظهر على هذه الشاشة ستة أشخاص تباعا . وهم أشخاص مألوفون لكم ... بييرو وبييريت وبوليشينيل المضحك وبولسينيللا الأنيقة وكولومبين الجميلة الفاتنة وأخيرا المهرج ، ذلك العفريت الشيطان .

وبدأ العرض بعد هذا التوضيح . ووثب الأشخاص الستة المذكورون أمام الستارة ووقف كل منهم لحظة ثم اختفى .

وعادت الأنوار تتبعها تنهيدة عامة من الارتياح . أحس كل منهم بالانفعال وكأنه يتوقع حدوث شيء مجهول . وأحسست أن العرض فشل ولم يؤد الغرض الذى كان بوارو ينتظره . واذا كان القاتل موجودا بيننا واذا كان بوارو قد توقع أن يراه وقد انهار لمجرد ظهور شخص مألوف أمام الشاشة فان ذلك لم يحدث وان الخدعة فشلت تماما . ومع ذلك فان بوارو

لم يبد عليه انه غلب على أمره وانما تقــدم مبسوط الأسارير وقال :

ـــ والآن هل تتكرموا أيها السادة فيقول لى كل منكم ما رآه على حدة . هل لك ان تبدأ يا صاحب الفخامة ؟

بدا الرجل مشدوها قليلا وقال :

ـــ اننى لا أفهم تماما .

ـــ قل لى ما رأيت ، لا أكثر .

ـــ اننى حسنا . سأقول أننا رأينا ستة أشخاص يمرون خلف الشاشة ، وهم يرتدون ثياب كوميديا الفن القديمة .. تماما كما فعلنا نحن فى الليلة المــاضية .

قال بوارو : لا تتكلم عن الليلة المــاضية يا سيدى . كان الجزء الأول من ردك هو الذى أردت أن أسمعه . هل تشاركين اللورد يا سيدتى ؟

وكان الخطاب موجهــا الى مســز مالابى فأسرعت تقول :

ـــ اننى .. آه .. نعم ، طبعــا .

ـــ هل رأيت ستة أشخاص يرتدون ثياب كوميديا الفن ؟

ـــ نعم .

ـــ وأنت يا مستر دافيدسون ؟

ـــ نعم .

ـــ وأنت يا سيدتى ؟

— نعم .

— هاستنجز .. وانت يا جاب ؟ هل تتفقان فى هذا الرأى ؟

وتحول الى كل منهم وكان وجهه شاحبا وبدت عيناه الخضراوتان كعينى القط وقال :

— مع ذلك فقد خدعتم جميعا .. خدعتكم عيونكم تماما كما خدعتم فى ليلة الحفلة الراقصة .. اذا رأى المرء الأشياء بعينى رأسه ، كما يقولون ، بالذات فان الرؤية لا تكون صحيحة دائما اذ يجب أن يراها بعين العقل وان يعمل خلايا مخه .. اعلموا اذن انكم فى هذا المساء ، وكذلك فى ليلة الحفلة ، لم تروا ستة أشخاص وانما خمسة فقط .. انظروا .

وانطفأت الأنوار من جديد فيما عدا أنوار الشاشة التى ظهر أمامها شخص .. كان هو بيرو .

قال بوارو متسائلا : من هذا ؟ أهو بييرو .

أجبنا كلنا فى صوت واحد : نعم .

— انظروا مرة أخرى .

وبحركة سريعة خلع الرجل ثوب بييرو الفضفاض وعلى الفور ظهر تحته ثوب المهرج الأنيق . وفى نفس اللحظة ارتفعت صيحة وصوت سقوط ووقع مقعد .

وقال كريس دافيدسون فى شراسة :

ـــ عليك اللعنة .. كيف خمنت ؟

وسمعت صوت الأصفاد وهى تطبق على يديه ثم صوت جاب وهو يقول بلهجته الرسمية :

ـــ كريستوفر دافيدسون .. اننى ألقى القبض عليك بتهمة قتل اللورد كرونشو .. ان ما ستنطق به سيتخذ قرينة ضدك .

* * *

وبعد ربع ساعة وأمام عشـــاء خفيف كان بوارو يبتسم وقد تحول الى ضيف كريم وراح يرد على أسئلتنا الملحة فقال :

ـــ كان الأمر سهلا جدا ، فان الظروف التى تواجدت فيها الشرابة الخضراء كانت تدل على أنها انتزعت من ثوب القاتل . وقد استبعدت بييريت : فان طعنة بسكين المـــائدة تتطلب قوة خاصة لا تتوفر لامرأة . ونظرت الى بييرو على أنه هو القاتل ولكن بييرو كان قد غادر المرقص قبل وقوع الجريمة بساعتين . وعلى ذلك فلابد أنه أما أن يكون قد عاد لكى يقتل اللورد كرونشو وأما ان يكون قد قتله قبل مغادرته المرقص . ولكن هل كان هذا ممكنا .. من الذى رأى اللورد كرونشـــو بعد العشاء ؟ .. لم يره أحد غير مسز دافيدسون ولكننى

رتبت في أنها كذبت لكي تفسر وجود الشرابة التى قطعتها من ثوبها لتستبدل بها تلك التى انتزعت من ثوب زوجها ينتج من هـذا ان المهرج الذى رؤى فى المقصورة فى الساعة الواحدة والنصف ما هو الا دعى زائف وارتقت شكوكى لحظة فى مستر بلتين ، ولكن ثوبه المعقد كان يحول بينه وبين أن يقوم بنفس الدورين : دور المهرج ودور بوليشينيل ، وهذا ما كان فى مقدور دافيدسون أن يقوم به ، فهو ممثل محترف ثم أن له نفس قـامة القتيل .

لكن شيئا ما أثار قلقى . ان أى طبيب كان يمكن أن يرى الفرق بين رجل مات انقضت على وفاته ساعتان وآخر مات منذ عشر دقائق .. حسنا لقد رأى الطبيب هذا الفرق ولكن أحدا لم يسأله : منذ متى مات هذا الرجل ؟ وانما على العكس من ذلك قيل له ان ذلك الرجل كان لا يزال على قيد الحياة منذ عشر دقائق ولهذا اكتفى بأن يذكر فى التحقيق تصلب أطراف الجثة كعارض غير طبيعى لم يفسره .

كان كل شيء يؤيد نظريتى .. قتـل دافيدسـون اللورد كرونشو بعد العشاء مباشرة وقد رؤى كما تذكرون وهو يدخل مع اللورد كرونشو الى الغرفة الخاصة التى تناولوا فيها العشاء ثم رافق دافيدسون

بعد ذلك مس كورتناى ولكنه تركها عند باب بيتها ولم يصعد لتهدئتها كما ادعى بل أسرع فى العودة الى الرقص لا بثوب بييرو وانما بثوب المهرج ، وهو تغيير قام به فى أقل من لحظة بأن خلع ثوب بييرو الواسع .

انحنى عم الفقيد الى الأمام وقد ارتسمت الحيرة فى عينيه وقال :

ـ اذا كان الأمر كذلك فانه قد ارتكب جريمة عمدا ، فما السبب الذى يمكن أن يدفعه الى ذلك ؟ .

ـ آه .. هنا نأتى الى المأساة الثانية .. مأساة مس كورتناى . هناك شىء بسيط لم يفطن اليه أحد وهو أن مس كورتناى ماتت متأثرة بتناول كمية أكبر من المعتاد من الكوكايين . فقد كانت تحتفظ بكمية منه فى العلبة الصغيرة التى وجدت مع اللورد كرونشو . فمن أين حصلت اذن على الكمية التى تسببت فى موتها ؟ شخص واحد كان فى مقدوره أن يزودها بها وهو دافيد سون . وهذا يفسر كل شىء .. يفسر العلاقة الطيبة التى كانت بين كوكو ودافيدسون وزوجته ويفسر السبب فى انها طلبت من دافيدسون أن يرافقها الى البيت ، فقد اكتشف اللورد كرونشو انها تتعاطى الكوكايين ، وكان يكره المخدرات والمدمنين

وقد شك فى ذلك طبعا ولكن اللورد كرونشو صمم على انتزاع الحقيقة من مس كورتناى أثناء الحفلة الراقصة .. وكان فى مقدوره أن يغفر لها ولكنه ماكان ليغفر أبدا للرجل الذى يزودها بالمخدر . وخشى دافيدسون افتضاح أمره وضياعه فذهب الى الحفلة وقد عقد النية على أن يحصل على صمت كرونشو بأى ثمن ..

ـــ وهل كان موت كوكو عرضا ؟

ـــ أظن أنه كان حادثا دبره دافيدسون بمهارة ، فقد حقدت كوكو على اللورد كرونشو كل الحقد لتعنيفه لها ولاستلائه على علبتها . ولكن دافيدسون أعطاها كمية أخرى ونصحها طبعا بأن تأخذ كمية مضاعفة ، من باب التحدى نحو اللورد كرونشو .

قلت : هناك شىء آخر . الستارة والمكان .. كيف عرفت بوجودهما ؟ ..

ـــ ولكن الأمر بسيط جدا يا صديقى . ان الخدم كانوا يدخلون تلك الغرفة ويخرجون منها بدون انقطاع ولا يمكن أن تكون الجثة قد بقيت حيث اكتشفت فوق أرض الغرفة ، وكان يجب أن يكون هناك مكان فى الغرفة يمكن اخفاؤها فيه . وقد استنتجت من ذلك

أن هناك ستارة وخلف هذه الســتارة مكان ، والى هذا المكان جر دافيدسون الجثة . وفيما بعد أن لفت اليه الأنظار بتنكره أخرج الجثة من مخبئها قبل أن يغادر المرقص نهائيا . كانت هذه احدى أفكاره الرائعة .. انه فتى ذكى جدا .

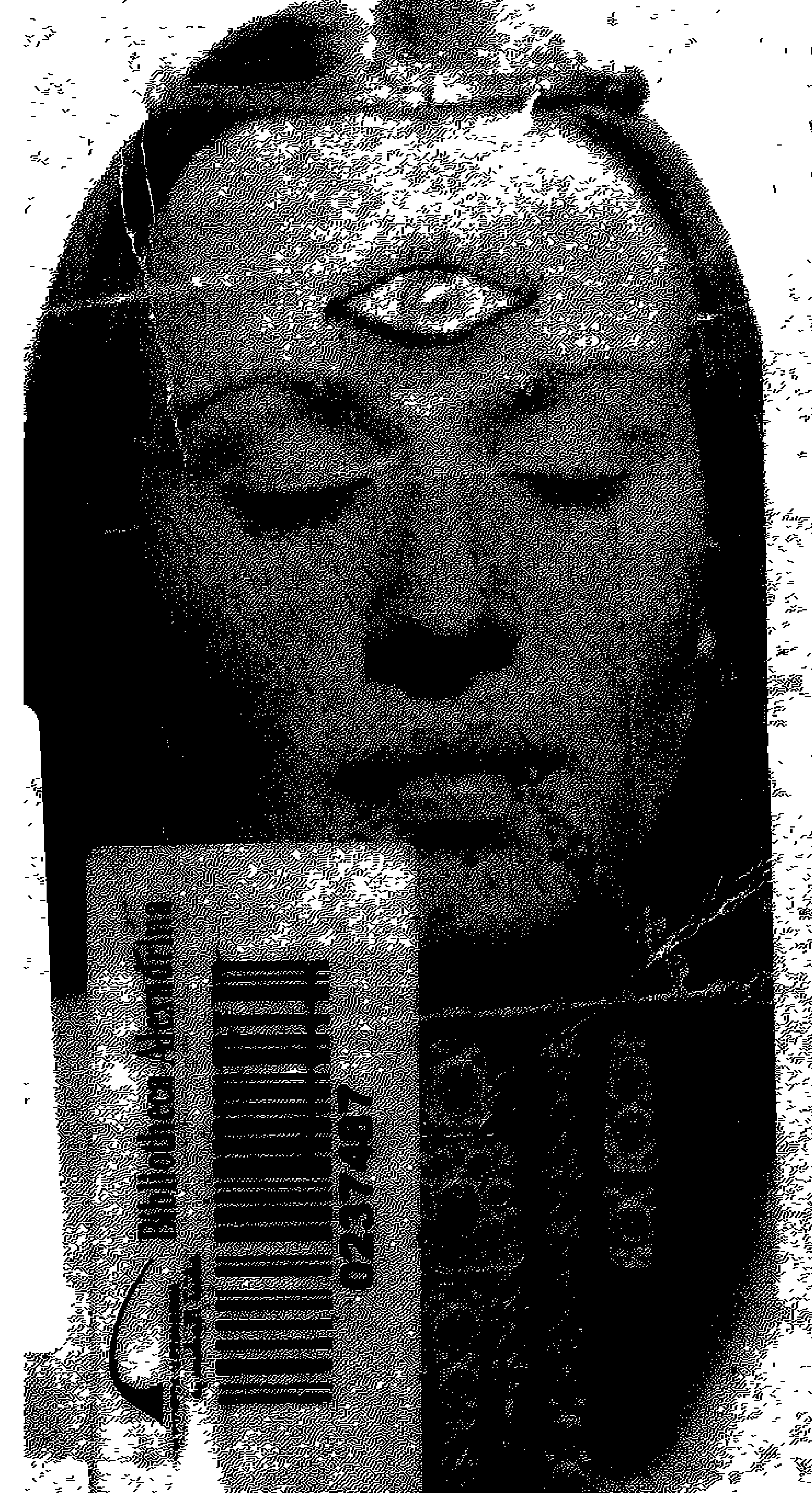
قرأت فى عينى المخبر القصــير الخضراوتين كأنه يقول :

— ولكنه ليس بأذكى من هركيول بوارو .

التوزيع فى ج. م. ع مؤسسة الاهرام
التوزيع فى جميع الدول العربية :
الشركة الشرقية للنشر والتوزيع — بيروت.لبنان

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب
٤٦٩٩ / ١٩٧٤



الساحرة

بقدر ما اشتهرت الكاتبة الروائية أجاثا كريستي من روايات بوليسية طويلة زادت على ٨٢ رواية ، كان لها مئات من القصص البوليسية القصيرة لا تقل روعتها وحبكتها عن القصة الطويلة .

وفي هذه المجموعة من قصص أجاثا كريستي البوليسية القصيرة ، اخترنا بعضاً من أجمل ما كتبته .

١٥ قرشا
ق : ج.م.ع